جامعة آل البيت

كليـة الآداب و العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

أهل الذمة ودورهم في الترجمة في عهد المأمون: الفترة (١٩٨ – ٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣م)

Ahl Al-dhimma And there role in The Translation in Al-Ma'moons Covenant

between (813-833 – 198 – 218)

إعداد الطالب

عبدالله عايد ملوح الصليلي

الرقم الجامعي

(١٤٧٠٣٠٣٠١١)

إشراف الدكتور

محمد صياح العيسى

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت

٢٠١٦م



سورة الإسراء – الآية ٩

نموذج التفويض

أنا الطالب عبدالله العنزي ، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

جامعة آل البيت



كليـة الآداب و العلوم الإنسانيـة

قسم التاريخ

أهل الذمة ودورهم في الترجمة في عهد المأمون: الفترة(١٩٨ – ٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣م)

Ahl Al-dhimma And there role in Translation in Al-Ma'moons Covenant

between (813-833 – 198 – 218)

إعداد الطالب

عبدالله عايد ملوح الصليلي

إشراف الدكتور

محمد صياح العيسى

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت

الفصل الدراسي الاول

١٤٣٨هـ /٢٠١٦م

رسالة ماجستير بعنوان

أهل الذمة ودورهم في الترجمة في عهد المأمون: الفترة(١٩٨ – ٢١٨هـ /٨١٣-٨٣٣م)

Ahl Al-dhimma And there role in Translation in Al-Ma'moons Covenant

between (813-833 - 198 - 218)

إعداد الطالب

عبدالله عايد ملوح الصليلي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيـع
د.محمد صياح العيسى	مشرفا و رئيسا	....
	عضوا	....
	عضوا	....
	عضوا / خارجياً	....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التاريخ

و أجيزت بتاريخ / /٢٠١٦م.

أنا الطالب: عبدالله عايد ملوح الصليلي / الرقم الجامعي: ١٤٧٠٣٠٣٠١١

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم : التاريخ

اقر بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

أهل الذمة ودورهم في الترجمة في عهد المأمون: الفترة(٨١٣-٨٣٣م/١٩٨ – ٢١٨هـ)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية، كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية وتأسيساً على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:　　　　　　　　　التاريخ:　　　/　　　/ ٢٠١٦م

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى أله وصحبه ومن تبعهم بأحسان الى يوم الدين ، وبعد فأني اشكر الله تعالى على منه وفضله في أنجاز هذا العمل فله الحمد اولاً واخراً ثم أشكر الأساتذه الكرام في جامعه أل البيت الذين تعلمت منهم الكثير خلال دراستي في برنامج الماجستير وأخص بشكر ألى رئيس قسم التاريخ الدكتور أنور الخالدي والدكتور غالب عربيات والدكتور موسى بنى خالد وفى مقدمتهم أستاذي المشرف على الرساله فضيلة الاستاذ الدكتور محمد صياح مسند العيسى الذي لم يذخر جهداً في مساعدتى فقد فتح لى بيته كما هى عادته وكنت اجلس معه الساعات الطوال أقرأ عليه ولا يجد في ذالك حرجاً وكان يحثني على البحث ويرغبنى فيه ويقوى عزيمتى فله من الله الأجر ومنى كل تقدير حفظه الله ومتعه بالصحه والعافيه وأتوجه بخالص الشكر ألى والدي الفاضل وأمي الغاليه وأسرتى الكريمه وألى زوجتى العزيزه التى تحملت الصبر والعناء في مسيرتى الدراسيه والتى كانت تسعى في توفير سبل الراحه لأتمام هذه الرساله المتواضعه كَمَا يسرني أن اهدى هَذِه الرسالة ألى أخي وصديقي المغفور له بأذن الله طلال مبارك وألى ابنائى الجوهره وطلال وسلمى وأتوجه لكل من مد لى يد العون ممن لم تسعفنى الذاكره بذكرهم بالشكر فجزاهم الله عنى خير الجزاء

فهرس المحتويات

Contents

الاختصارات المستخدمة

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش على النحو الآتي:

ترمز الحروف الآتية إلى ما يلي:

ت	الوفاة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. ن	دون دار نشر
ع	العدد بالنسبة للدوريات

P.	رقم الصفحة بالانجليزي
vol.	رقم الجزء بالانجليزي

ملخص

أتت هذهِ الدراسة لتكون مرجعا جديداً يختص بدور أهل الذمة في الترجمة في عصر المأمون ، وأستطيع أن أؤكد أنها الرسالة المتخصصة الأولى التي درست أهل الذمة ودورهم في حركة الترجمة ، فقد إعتدنا على دراسات تأخذ الموضوع دون تَخصيص بِمعنى أنها بحثت حول عملية النقل والترجمة ككل متكامل.

وقد جاءت هذهِ الدراسة لتُغطي فترةً قصيرةً نسبياً من سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م وحتى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣ م وهي فترة حكم الخليفة المأمون الذي ظهر كشخص عالم بالإضافة إلى كونه خليفة للمسلمين ، فقد عمل منذ أن تولى الخلافة على إقتناء الكتب الفلسفية وأرسل من يجلبها له ، كما قرّب في قصره علماءً كانوا أفذاذ ذلك العصر في الطب والفلسفة والرياضيات وعلوم الفلك ، وأجزل إليهم العطاء عند ترجمة أي كتاب ، وإذا علمنا أن أهل الذمة كانوا يجيدون اللغات السريانية واليونانية واللاتينية التي كتبت بها تلك الكتب فإن هذا سُيفسّر لنا لِما برع أهل الذمة بِمختلف طوائفهم في عملية النقل والترجمة ، وفي هذه الرسالة اجتهدتُ على إبراز كل عالم وما أنجز.

مشكلة الدراسة:

يُعد عهد الخليفة المأمون من العهود التي شهدت تطوراً علمياً وازدهاراً في الثقافة وخاصة في مجال الترجمة ، ولهذا ما كاد يستقر المأمون في بغداد حتى أحدث تغييراً كبيرا في (الإستراتيجية) الثقافية للدولة العباسية ، فلقد أدرك من خلال تَنشئتِه ودِراسته كمُعتزلي من ناحية وعلاقته الوثيقة برجال العلم والأدب _ من عربٍ ومسلمينَ ونساطرة وفرس وهنود وصابئة_ ما لم يدركه غيره من الخلفاء من علوم وفنون.

وفي عهد المأمون، غَدت الترجمة سياسة أو (استراتيجية) عامة للدولة العباسية ، لا ترتبط برغبة هذا الخليفة أو ذاك الأمير، كما أنها لم تعد تتعلق بميدان دون آخر ، وإنما أصبحت تشمل معظم العلوم والمعارف التي ازدهرت في الحضارات القديمة.

لقد حَصل الخليفة المأمون على مخطوطات تُراث الحَضارات الأخرى من داخل العالم العَربي والإسلامي وخارجِه ، بالنِسبة إلى مخطوطات التراث اليونانية مثلاً ، فقد حصل عليها من أماكن مُتعددة ، بعضُها جُلبَ من جزيرة قُبرص ، ومن العلماء الذين بعث بهم الخليفة إلى العاصمة البيزنطية لاختيار المَخطوطات ونقلها إلى (بيت الحكمة) في بغداد ، نَذكر: يحيى أبن ماسويه ، والحجاج بن مطر ، ويحيى بن البطريق ، وفازليب ، وأبو سهل الفضل بن نوبخت (ت٢٠٣هـ/٨١٥م) كان فارسي الأصل ، وكان يعمل في خزانة الحكمة أيام هارون الرشيد في نقل الكتب من الفارسية إلى العربية وغيرهم. وكانو جميعاً من المسيحيين النساطرة ، يتقنون اللغة اليونانية.

كما وصلت إلى (بيت الحكمة) كميات كبيرة من المخطوطات اليونانية ، من أديرة وكنائس بلاد الشام والرافدين ، وذلك عن طريق العلماء العرب المسيحيين.

من هنا برزت فكرة الدراسة في محاولة التعرف إلى دور أهل الذمة في الحياة العلمية في عهد المأمون من الفترة (١٩٨/٢١٨هـ- ٨١٣/٨٣٣م).

- **سبب اختيار الموضوع:**

هُنالك العديد مِن الأسبابَ التي دَفعت الباحث لإختيار هذا الموضوع منها :

- إزدهار الحركة العلمية في العصر العباسي وخاصة في عهد المأمون.
- ظهور دور لأهل الذمة في عهد المأمون في حركة الترجمة والتدوين.

- إهتمام المأمون بحركة التَرجمة في مَجالات الفلسفة والمنطق ، واهتمامه بالعلماء السريان النساطرة لأنهم أقدر على الترجمة من اليونانية.

- وفاء بحق التاريخ العربي والإسلامي وإدراكا مني بأهمية أحياء التراث في تقدم ثقافة الامة وحضارتها ، لما يمثله التواصل بين ماضي الامة وحاضرها وما يحمله من دلالة مباشرة على امكانية الرقي عند الانسان فردا أو جماعة فيقتضي واجب العرفان بحقهم.

- اعتناق المأمون لمذهب الاعتزال ، من هنا جاءت رغبة الباحث للتعرف على أثر هذا الأمر على الحياة العلمية.

- ظهور ترجمات كثير من الكتب في عهد المأمون تَمّس الدين.

- **مُشكلات البحث:**

من خلال تتبع الباحث لموضوع دور أهل الذمة في الحياة العلمية في عهد المأمون من الفترة (١٩٨/٢١٨هـ- ٨١٣/٨٣٣م) واجهته بعض الصعوبات منها:

– قلة المراجع التي اهتمت بدور أهل الذمة بشكلٍ منفصل.

– قلة ذكر المصادر لدور اهل الذمة في الحياة العلمية ، إنما كانت هنالك اشارات لهذا الدور بشكل قليل.

- **الدراسات السابقة:**

دراسة سليمان ، نصر الدين جار النبي بعنوان (حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأول) الصادرة سنة (٢٠٠٤) وقد هدفت الدراسة إلى إبراز البداية الأولى لحركة الترجمة

في الدولة الإسلامية على وجه العموم وعلي الدولة العباسية في أوائل عهدها على وجه الخصوص .فقد تناولت الدراسة عوامل نشأة وازدهار هذه الحركة ، إضافة إلى الأساليب والمصادر التي أعتمد عليها المسلمون في الترجمة. كذلك أوضحت الدراسة جهود الخلفاء العباسيين في شأن الترجمة مع التركيز على جهود الخليفة المأمون إضافة إلى ذلك تم استعراض جهود كبار المترجمين أمثال حنين بن إسحاق وآخرون. وأخيراً أبانت الدراسة الأثر الحضاري للترجمة المتمثل في نهضة العلوم وازدهارها مثل علم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب فضلاً عن دور المسلمين في نهضة هذه العلوم وازدهارها.

دراسة اسماعيل ، رفيدة المنان بعنوان (بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية) الصادرة سنة (٢٠٠٩) أشار فيها إلى أن الدولة العباسية شهدت نهضة علمية في شتى ضروب المعرفة وتطور التعليم بعد ذلك عن طريق المساجد ، حيث كان المسجد هو المكان الرئيسي لنشر الثقافة الاسلامية ، وقامت حلقات العلم في المساجد لان الدراسة في سنين الاسلام الاولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الاسلامي وتطور التعليم ايضا عن طريق مجالس المناظرة .التي كان الغرض منها ليس التعليم فقط بل فض الفتن والمنازعات وعدم تعطيل احكام الله سبحانه وتعالى واخذ حق المظلوم من الظالم. وتطور التعليم خلال فترة الخلافة الراشدة والدولة الاموية الى ان وصلنا الى عهد الدولة العباسية خاصة في عهد الخليفة المأمون الذي ساهم في انشاء بيت الحكمة ، والحكمة هو علم يبحث عن حقائق الاشياء ، اما بيوت الحكمة الخاصة فهي خزائن الكتب التي انشأها العلماء والأدباء والأعيان في دورهم وكان يستفيد منها الناس. ومن اشهر الخزائن العامة بيت الحكمة البغدادي لذلك كان لابد من معرفة من هو مؤسس بيت الحكمة وموقعه ، وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه ، وما هو دور بيت الحكمة في حركة النقل والترجمة واهم المترجمين ومؤلفاتهم، وقد اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية وفي نشر الحضارة

العربية الى الغرب ، واثر ايضا في نشأة المدارس في بغداد .وقد اتبعت منهج البحث التاريخي في تحليل فرضيات الدراسة للوصول للأهداف ألموضوعية وقد حققت هذه الدراسة عدة نتائج منها أثبت هذا البحث فضل التعليم والعلماء ، وانقسام العلوم في العصر العباسي الى نقلية و عقلية ، وتطور التعليم عن طريق المساجد ومجالس المناظرة.

دراسة المهداوي ، فخري حميد بعنوان (الترجمة في عهد الخليفة المأمون) الصادرة سنة (٢٠١٣) وقد أشار فيها إلى أن المأمون كان أمارا بالعدل ، فقيه النفس يعد من كبار العلماء ، لذلك تقدمت الأمة أيام حكمه تقدما في معظم مجالات الحياة ووصلت العلوم العربية أوج تطورها وخصوصا بعد الاطلاع على علوم وفنون الدول الأخرى ، وقد لعبت الترجمة دورا بارزا ومميزا من حيث ترجمة علوم هذه الدول إلى العربية من اجل الاستفادة منها وقد اعتنى الخليفة المأمون بهذا النوع من العلم (الترجمة) وجعل له رجاله وأساليبه وأغدق عليهم الأموال وقد وصلت الترجمة إلى مراحل متطورة في عهده.

من خلال ما سبق لم يقف الباحث على دراسة تناولت دور اهل الذمة بشكل مفصل وموسع ومن هنا تتميز الدراسة الحالية للباحث في التعرف إلى دور أهل الذمة في الحياة العلمية في عهد المأمون من الفترة (١٩٨/٢١٨هـ- ٨١٣/٨٣٣م) ، من خلال الوقوف على انجازات أهل الذمة في مختلف العلوم ودورهم في الحياة العلمية في عهد المأمون.

أما منهج البحث في هذه الأطروحة فانه سيكون منهجاً تكاملياً يأخذ من محاسن المناهج جميعُها وخصوصاً المنهج التاريخي لتأصيل قضايا البحث ، والمنهج الوصفي في عرض آراء المؤرخين والكتاب ، والمنهج التَحليلي في دراسة أسباب الظواهر التاريخية واستخلاص النتائج.

أما بالنسبة للخطة التي أتبعتها في الدراسة فقد تمثلت بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول : الفصل الأول كان بعنوان (المأمون : حياته والأوضاع السياسية والاقتصادية التي سادت في عصره) وقد تطرقت في هذا الفصل لسيرة الخليفة المأمون ، إذ يجب على الدارس للحركة العلمية المتمثلة بالترجمة والتأليف والاعتزال أن لا يتعدى هذه الشخصية التي نالت إعجاب المؤرخين ، فذكرت ولادته وخلافته وكيفية استلامه للخلافة والأوضاع التي سادت في عصره.

أما الفصل الثاني كان بعنوان (أهل الذمة – الطوائف والأديرة والتنظيمات) في هذا الفصل درست أهل الذمة من حيث مدلول الكلمة اللغوي والاصطلاحي وذكرت حقوقهم وواجباتهم في الدولة ألإسلامية وتحدثت عن طوائفهم من نصارى ويهود وصابئة ومجوس ثم ذكرت الأديرة التي انتشرت في العراق والتي كان مصدرنا فيها كتابي الشابشتي والأصفهاني المعروفين بالديارات ، ثم ختمت الفصل بتنظيماتهم الدينية والمناصب التي تميزت بها كل طائفة مثل الجاثليق والموبذان وغيرهم.

وجاء الفصل الثالث بعنوان (ترجمة أهل الذمة في عهد المأمون (الطرق وأسماء العلماء)

) وهو صلب الرسالة وفيه سَلطت الضوء على مفصلين هامين في هذه الأطروحة ، وهما طريقة الترجمة حيث هناك طريقتان ، الأولى الترجمة الحرفية والثانية الترجمة المعنى وحاولت قدر الإمكان أن يميز بينهما والمفصل الثاني يتحدث عن أبرز علماء أهل الذمة في عهد المأمون وأبرز ما ترجموه وكتبوه ، فأوردت سيرة كل عالم وذكرت إنتاجه العلمي.

وأخيراً جاء الفصل الرابع بعنوان (علاقة المأمون بأهل الذمة وأثر الترجمة في حركة الفكر العربي) في هذا الفصل درست علاقة الخليفة المأمون بأهل الذمة وأيضاً أثر الترجمة في حركة

الفكر العربي ، فقد نشطت حركة الترجمة عن اللغات الأخرى منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وكان من أهم هذه الترجمات اطلاع العرب على الفلسفات ومناهج الفكر عند بقية الشعوب ، وحاولت مجتهداً أن أحدد مدى استفادة الفكر العربي على نحو فاعل من هذه الترجمات.

أما الخاتمة فقد أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، كما احتوت الدراسة على قائمة بالمصادر المطبوعة ، والمراجع والبحوث العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل إليه من نتائج.

- **دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث**

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة مختلفة من المصادر التي تشكل مادتها ركناً أساسياً في هذه الدراسة ، وسيكون التركيز هنا حول قيمة كل مصدر من المصادر بمقدار ما يوضح دور أهل الذمة وإنجازاتهم على مستوى الترجمة والتأليف في فترة الخليفة العباسي المأمون.

١. كتاب تاريخ الرسل والملوك للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) وقد غطى الطبري أغلب الوقائع التاريخية في فترة صدر الإسلام وتحدث بإسهاب عن الفترة العباسية حتى سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م)، ويعتبر كتابه من المصادر الأصلية لتاريخ الفترة موضوع البحث ، لأن الطبري يروي أحداثاً كان معاصراً لها وأخرى وصلت إليه عن طريق الرواية ويتسم تاريخه بالإفاضة في تناول الأحداث.

٢. كتاب تاريخ مدينة السلام أو تاريخ بغداد لأحمد بن علي أبو بكر البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م) وقد تناول الأحداث السياسية والاجتماعية في بغداد ، وله مقدمة طويلة تحتوي أصل بغداد ونشأتها وتاريخ بنائها وأحيائها وقصورها ومدنها ، ثم ترجم لعلماء بغداد

وأدبائها وشعرائها ، ورتب الخطيب كتابه فجعل الأعلام فيه على حروف المعجم مراعياً أوائل أسمائهم الأسماء التي اشتهروا بها، وكان الكتاب مفيداً في دراسة الأحداث السياسية التي تطرقنا لها في الفصل الأول.

٣. كتاب الكامل في التاريخ لمحمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وقد بدأه من أول الزمان إلى انتهاء سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وابن الأثير من المصنفين الذين لهم باع طويل في التصنيف التاريخي ، وقد جمع منهجه بين التاريخ الحولي والتاريخ الموضوعي ، وقد أفاد الدراسة في ما يتعلق بدراسة الحياة السياسية في عهد الخليفة المأمون.

٤. كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي المشهور بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وهو من كتب التاريخ الاسلامي العام الذي اتبع فيه مؤلفه اسلوب التاريخ الحولي ، فكان يورد أخباراً كل سنة على حده ، ثم يعقب عليها بذكر الوفيات من أعيان الدولة وكبار رجالاتها وفقهائها ونسائها ، واشتملت الأحداث التي وردت في الكتاب على معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية وغيرها ، وهو من أهم المصادر التي اهتمت بالتاريخ الحضاري المتصل بفترة الدراسة ، وقد أفدت منه في الفصل الذي يتحدث عن الحياة السياسية والاقتصادية في عهد المأمون.

٥. كتاب الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ، يلقب بالأفضل ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة (٥١٠ هـ/١١١٦م) فأقام ثلاث سنين ، وعاد إلى بلده ، وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم ، صاحب التصنايف ، كان وافر الفضل ، كامل العقل ، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب

عنهم لكان هو الإمام)، ومن أهم كتبه نهاية الإقدام في علم الكلام والإرشاد إلى عقائد العباد وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام ومصارعات الفلاسفة وتاريخ الحكماء والمبدأ والمعاد وتفسير سورة يوسف بأسلوب فلسفي ومفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرا ر ، وقد أفدت كثيراً من كتابه الملل والنحل في التعرف على طوائف أهل الذمة في العراق في العصر العباسي.

٦. كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وهو من كتب التراجم المهمة وأفرد فيه صاحبه حيزاً كبيراً للأعلام في الدولة العباسية ، وتعد تلك التراجم من أوسع التراجم وأكثرها فائدة بين الكتب التي ترجمت لهؤلاء وقد ساهم ابن خلكان في إبراز صورة جيدة عن الأوضاع والأحوال التي سادت في ذلك العصر عن طريق التراجم التي شملت تراجم شخصيات كان أثر كبير في أحداث الدولة العباسية.

٧. معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ويعتبر كتاب معجم البلدان كتاب جغرافي تعرض فيه المؤلف لبيان الأقاليم الجغرافية وما تحتوي عليه من مدن ، وقد أفادت الدراسة منه في التعريف بالمدن وتحديد مواقعها وكذلك أفاد في تحديد مواقع الأديرة التي كانت منتشرة في العراق في الفترة العباسية.

٨. أحكام أهل الذمة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) وقد اعتمدت على هذا الكتاب في توضيح العلاقة بين أهل الذمة والمسلمين من حيث الجزية وأحكام أهل الذمة في أموالهم ومعاملاتهم وغير ذلك.

٩. كتاب الديارات لعلي بن محمد الشابشتي (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) وهو أنفس ما ألّف في موضوعه ، ويشتمل على أخبار (٥٣) ديراً ، افتتح الحديث عن كل دير منها بذكر نبذة في التعريف بموقعه ومكانته وما يقام به من الأعياد ، وصفه ناشر الكتاب بأنه كتاب بلدان

بما يذكره من الأمكنة والبقاع، وكتاب تاريخ بما في مطاويه من الأحداث التاريخية، والكلام عن أديرة زال أكثرها من الوجود، وكتاب تراجم بما تفرد به من ذكر رجال لا يستهان بها، وكتاب أدب بما تضمنه من طرائف أدبية فاخرة.

١٠. كتاب الديارات لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) وهو كتاب يضم أخبار إثنين وخمسين ديراً، وقدم له بمقدمة وافية عن تاريخ الأديرة، وما كتب عنها في التراث العربي، ووصف ثلاثة عشر كتاباً منها، وكل هذه الكتب لا تعرض لتاريخ الأديرة، ولا للحديث عنها باعتبارها أماكن ترتاد للعبادة والتبتل، بل باعتبارها مراتع للهو والقصف، ومنازل للذة والمتعة. ولا يكون الدير كما قال ياقوت في المصر (أي البلد) ، وإنما في الصحارى ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كانت كنيسة أو بيعة.

١١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس المعروف بابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) من أجل المؤلفات التي تناولت تاريخ الطب وسير أعلامه في القرون الوسطى، ألفه ابن أبي أصيبعة في (قلعة صرخد) جنوب دمشق، وكان قد انتقل إليها عام (٦٣٤هـ/١٢٣٥م) بدعوة من صاحبها الأمير عز الدين أيبك المعظمي، وما يعطي الكتاب أهمية أنه أفرغ في هذه التراجم طائفة كبيرة من مشاهداته ومعايناته لسير شيوخه في تشخيص الأمراض ووصف الأدوية المناسبة، ومعذرة من أخطأ وبراعة من أصاب، وطرائفهم في حياتهم الخاصة، وهذا الكتاب كان أساسياً في هذه الأطروحة فمعظم علماء أهل الذمة وجدنا لهم تراجم في هذا الكتاب.

١٢. إخبار العلماء بأخيار الحكماء لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) من نفائس كتب التراجم الخالدة ترجم فيه القفطي لزهاء (٤٢٤) علماً من أعلام الفلسفة، منذ أقدم العصور وحتى عصره. قال: (وقد قفيته ليسهل تناوله) وأراد أنه

بناء على حروف المعجم، معتمداً الحرف الأول فقط، وربما جمع أعلام كل أمة على حدة، وترجم فيه لكثير من معاصريه، وقد أفدت منه في التعريف بمجموعة لا بأس بها من العلماء.

١٣. تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) نصب أسقفا على جوباس (من أعمال ملطية) سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، وسمي «غريغوريوس» ثم كان أسقفا لليعاقبة في حلب، وارتقى إلى رتبة «جاثليق» على كرسي المشرق سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٤م)، وما يميز هذا الكتاب أن المؤلف من أهل الذمة، بمعنى أنه كان يكتب عن طائفته وأهل ملته مما يعطيه مصداقية.

١٤. كتب المعاجم اللغوية مثل كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) وكتاب القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م) وكتاب تاج العروس لمحمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) وكتاب المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون وهو من الكتب الحديثة.

تمهيد

الأحوال السياسية للدولة العباسية منذ الثورة وحتى خلافة المأمون

من المعلوم أن الثورة العباسية قد نجحت في تحقيق أهدافها المتمثلة بإسقاط الأمويين، ولعل الأسباب التي أنجحت الثورة العباسية كثيرة ولكن أهمها ، ضعف الدولة الأموية بعد وفاة هشام بن عبد الملك ، نتيجة حدوث انشقاق وصراعات بين الأسرة الأموية نفسها ، على تولي الخلافة ، وتعصب بعضهم للقيسية ، والبعض الآخر لليمانية ، مما نقل الصراع والتنافس القبلي إلى الأمصار مثل خراسان ، وقد إستغلت الحركات الثورية المعادية للأمويين هذا الضُعف في زيادة أنصارها وتقوية حركاتها ، ومنها الدعوة العباسية وثورتها ، وقد نشرت هذه الحركات مساوئ الحكم الأموي ، ومهّدت الناس لقبول دعوة بني العباس[١] .

وأيضاً بُعد خراسان عاصمة الدولة الأموية واضطراب الوضع الاقتصادي والاجتماعي فيها، من حيث تذمر العرب المتوطنين في خراسان والموالي وغيرهم من كثرة الضرائب والتشدد في جبايتها، في وقت كانت الدولة الأموية تعاني من أزمة اقتصادية بسبب حروبها المستمرة مع البيزنطيين والتوقف النسبي في حركة الفتوح والاستمرار في دفع العطاء لأصحابه، بالإضافة إلى تصاعد الصراع القبلي بين المضرية واليمانية وحلفائهم من ربيعة، مما جعل كثيراً من الناس يملّون هذا الصراع وينضمّون إلى جموع الناقمين على السياسة الأموية في خراسان، فاستغلت الدعوة العباسية الذكية هذا الوضع وبثّت دعوتها في صفوف المتذمّرين من العرب وغيرهم، فيما كان نصر بن سيّار والي بني أمية على خراسان منشغلاً عن نشاط الدعوة وتقدّمها بالنزاع القبلي

---

[١]) ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، ج٥، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧، ج٥، ص٢٩٢-٢٩٥.

المذكور حتى أن نصر لم يبدأ بمواجهة أبي مسلم الخراساني إلا بعد ١٨ شهراً من ظهوره، وقد قوي أمره، فهزمت القوة التي أرسلها نصر ضد أبي مسلم[1].

يضاف إلى ذلك رفع الشعارات التي تستهوي قطاعاً كبيراً من المسلمين ، إضافةً إلى نشر الأحاديث المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم التي تشير إلى تولّي العباسيين الخلافة ، وإشاعة النبوءات والتوقعات والتكهنات والأساطير التي وضعت أو قيلت عن ظُهور ثورة في خراسان ذات رايات سوداء مقبلة من المشرق .

وفي ١٢ ربيع الآخر ١٣٢هـ/ ٢٨ نوفمبر ٧٤٩م تمّت مبايعة أبو العباس السفاح كأول خليفة ، وقد أظهر أبو العباس تسامحاً تجاه المؤامرة التي كانت تعمل على تحويل الخلافة إلى أبي طالب ، واستهلّ أبو العباس خلافته بتنظيم شؤون الدولة العباسية الناشئة إذ عيّن عمالاً وولاةً عباسيين على معظم أقاليم الدولة باستثناء خراسان التي بقيت تحت سيطرة أبي مسلم الخراساني، وامتدت سيطرة الدولة العباسية في عهد أبو العباس السفاح إلى السند وافريقيه " تونس " وخراسان وأذربيجان وأرمينيا وفارس وكرمان وسجستان والعراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، وقد حرص أبو العباس على حصر الخلافة العباسية في أسرة محمد بن علي العباسي المنظم الأكبر للدعوة دون باقي فروع الأسرة فعهد بالخلافة من بعده إلى

[1]) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧، راجعة نواف الجراح ط١، دار صادر بيروت ٢٠٠٣، ص٣٥٨-٣٥٩. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط٢، دار الطليعة للطباعة النشر، بيروت ١٩٨٨ ص٢٥.

أخيه عبد الله الأكبر بن جعفر المشهور بالمنصور وبذل الاثنان جهوداً كبيرة ومتواصلة من أجل تحقيق هذا الهدف[١].

إن الدولة العباسية قد لقيت الكثير من الصعوبات في بداية نشأتها وأكثر ما كان يؤرقها هو كثرة الثورات ومن أبرز هذه الثورات حركة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم الخليفة أبي العباس الذي تصدى لمروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ولاحقه بعد معركة الزاب المشهورة، وكان أبو العباس السفاح قد وعده أن يولّيه الخلافة بعده[٢]، وكذلك حركة أبو سلمة الخلال رئيس الدعاة العباسيين في الكوفة [٣] ، أما الحركات الفارسية فهي كثيرة وإننا فقط سنلقي الضوء على واحدة منها وهي حركة الراوندية وذلك لأنها كانت أخطر الثورات ولأنها امتدت لفترات لاحقة من الدولة العباسية، فيورد الطبري رواية تفيد أن جماعة من الراوندية اتبعوا رجلاً يدعى الأبلق وأنهم ألّهوا الأئمة العلويين والعباسيين، واستحلّوا الحرمات فقتلهم أسد بن عبد الله وصلبهم، ثم جاءت جموع من أتباعهم إلى الهاشمية مقر الدولة العباسية آنذاك، وجعلوا يطوفون بقصر المنصور ويقولون : " هذا قصر ربنا، يحيينا ويميتنا ويطعمنا ويسقينا" فأحدثوا اضطراباً في المدينة فاعتقل المنصور منهم مائتين وحذّرهم من التجمع، فغضب أصحابهم واقتحموا السجن وأطلقوا من سجن منهم، وثاروا على المنصور غير معترفين بألوهيّته، وتوجهوا إليه في قصره

---

[١]) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمانت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط٢، ج٨، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣ ص٣٣٣-٣٣٨.

[٢]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٧٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٣. المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ ص٣٠٢.

[٣]) الدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٤م) الأخبار الطوال، ط١، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٠ ص٣٧٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤١٩. اليعقوبي، أحمد بن اسحق(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي، ج٢، دار صادر، بيروت ١٩٧٠ ص٣٥٢.

ليقتلوه، فدافع عنه معن بن زائدة الشيباني دفاعاً كبيراً، وساعد القائد العباسي خازم بن خزيمة وجموع من أهل الهاشمية فقتلوا منهم ٦٠٠ رجل، ويقول فاروق عمر فوزي أن عفا عمن تخلى منهم عن آرائه[١].

وحين تولى المنصور الخلافة تابع ما بدأ به السفاح فقد ظل يرصد أعداء الدولة ويقضي على المتنفذين فيها إذا تخوف منهم سطوة أو نفوذ زائد، ومن أجل ذلك نظم استخبارات واسعة شمل نشاطها جميع ولايات الدولة وولاتها وعمالها ورجالها حتى نسب إليه هذا القول: "والله ما لمت نفسي أن أكون قد أذكيت العيون عليهم حتى أتتني أخبارهم وهم في منازلهم" [٢]، وكان أول شيء قام به هو التخلص من أبي مسلم الخراساني الذي بدرت منه تصرفات كثيرة أزعجت أبو العباس والمنصور معاً وهي تصرفات كثيرة لا داعي لذكرها، ولكن ما يهمنا أن المنصور استعمل معه اسلوب الترغيب والترهيب والخديعة حتى جاء قريباً من المدائن، فرحب به المنصور أولاً، ثم استدعاه بعد ثلاث أيام وعنّفه أشد تعنيف لما صدر منه، وزاد في اتهامه أن أبا مسلم حاول الانتساب إلى بني العباس والزواج من بناتهم، ومحاولة الذهاب إلى خراسان رغم استدعاء

---

[١]) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) أنساب الإشراف، ط١، ج٣، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦ ص٢٣٥-٢٣٦. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م) البدء والتاريخ، ج٦، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٩٩٠ ص٨٣-٨٤. المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ ص٢٩٩ . فوزي، العباسيون الأوائل، ص٨٦-٨٧.

[٢]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٨٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٣١٨.

الخليفة إياه، فأمر حراسه بقتله ، وبذلك تخلص المنصور والعباسيون من خطر منافس لهم في دولتهم، حتى قال عيسى بن موسى العباسي للمنصور: " والله ما تم سلطانك إلا اليوم" (١).

ثم قرر المنصور أن يتخذ مقراً جديداً لأن الكوفة لم تكن مطمئنة له ، فأرسل أعوانه ليختاروا موضعاً جديداً مناسباً لعاصمة العباسيين ، وبعد طول بحث تم اختيار موقع بغداد غرب دجلة، وقد أعجب به المنصور لأنه يراعي إعتبارات استراتيجية واقتصادية وسكانية ، و تميزت بأنها محاطة بالأنهار والعدو لا يأتيها إلا بوساطة جسر أو قنطرة، وقد سماها المنصور مدينة السلام، ودعاها الناس مدينة المنصور نسبةً إليه، ودعيت أيضاً بالزوراء لأن قبلة مسجدها الجامع كانت منحرفة قليلاً نحو الشمال الغربي(٢).

ولبعد نظر الخليفة المنصور فقد عني بتدريب ولده المهدي على الإدارة والحرب ، كتمهيد لإعداده لمنصب الخلافة وذلك بعد أن قدّمه في ولاية العهد على ابن أخيه عيسى بن موسى سنة (١٤٧هـ/٧٦٤م) (٣)، و وصف له حالة الناس عشية توليع زمام الأمور بقوله: " إني تركت الناس ثلاثة أصناف، فقيراً لا يرجو إلا غناك، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك" (٤) ، وأمره بإعادة ما صودر من أموال الناس لجنايات مختلفة إذ قال له: يا بني إني

---

١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٠٦.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٨٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)،، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، ج٨، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢، ص١٣. المسعودي، مروج الذهب، ٣، ص٢٠٨.

٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٦٩.الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦١٤. المسعودي، مروج الذهب، ٣، ص٣١٢. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩، ص٤٥٦.

٣) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط٢، دار الطليعة للطباعة النشر، بيروت ١٩٨٨ ص ١٠٦.

٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٩٥.

أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة، وكتبت عليه أسماء أصحابه ، فإذا وُليّتَ أنتَ فأعده على أربابه ليدعو لك الناس ويحبوك[1]، وقد نفّذ المهدي هذه السياسة وكان يُخصص وقتاً يجلس فيه لرد المظالم[2]، وكان يشرك القضاة معه للنظر فيها، ولعله أراد بذلك بالإضافة إلى حفظ العدل إحاطة الخلافة بجلال الدين، وبلغ به الاهتمام بالعدل أنه اتخذ بيتاً له شباك حديد تطرح فيه القصص "عرائض الشكايات" وتجمع بعد ذلك حرصاً مِنهُ ان لا يبقى مجال للتقديم والتأخير في سماع الظلامات[3].

يورد المسعودي النص التالي فيقول : " وأمعن المهدي في قتل الملحدين، والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته؛ لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان، ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع، وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنفه في ذلك ابن أبي العرجاء، وحماد عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن إياس: من تأييد المذاهب ألمانية والديصانية، والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس" [4]، إن في هذا النص لدلالة على أكبر خطر كان يحدق بالدولة الناشئة أيام المهدي ألا وهم الزنادقة، لذا فإن المهدي قد طاردهم وقتل خلقاً كثيراً منهم، وأنشأ لهم ديواناً خاصاً بهم أسماه ديوان الزنادقة، وعيّن موظفاً خاصاً لمطاردتهم أطلق عليه اسم صاحب الزنادقة، وخوّل له سلطات واسعة بالحكم بالإعدام على كل من يدان بهذه التهمة، وأنشأ لهم سجناً خاصاً أسماه سجن الزنادقة، ولم يكتف بذلك بل أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب

---

[1]) ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية، ط١، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم، بيروت ١٩٩٧ ص ١٥٦.

[2]) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٧٦.

[3]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٠٩.

[4]) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣٥٤.

في الرد عليهم ، هذا وقد صار الاتهام بالزندقة وسيلة للقضاء على غير المرغوب فيهم كابن المقفع وبشار بن برد وأبي نوس[1]، وقد ورد نص لدى الطبري يوصي فيه المهدي ابنه الهادي بالقضاء عليهم فيقول : " يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة- يعني أصحاب ماني- فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور........" [2].

أما الخليفة الهادي، أراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، ولكن أمه الخيزران لم تقبل بذلك، فأمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر [3]، ثم يأتي بعد ذلك الخليفة هارون الرشيد الذي نسبت إليه مجموعة من الصفات المتفارقة التي تندر أن تجتمع في شخص واحد، وعند مطالعة أخباره تشعر فيها امتزاج حقائق التاريخ بروعة الخيال ومبالغة الأقاصيص، ففي جانب ترى صورة الخليفة الباذخ المترف المسرف في الترف، المنهمك في الملذات والمجون والمتمتع بشرب النبيذ ورقص الجواري، وفي الجانب الآخر صورة المحارب القوي الذي أذل أعداء الإسلام وفرض الجزية على الروم، وأحياناً تظهر صورة الخليفة الذي يطوف الأسواق ويزور المجالس متنكراً ليعرف ما يدور فيها، وأحياناً أخرى ذلك الإنسان الورع الناسك الذي تسقط الموعظة عبراته، فهو أول من حجّ

[1]) العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ ص٦٩-٧٠.

[2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٢٠.

[3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٣٦.

ماشياً من الخلفاء يصلي في اليوم مئة ركعة إلى أن فارق الحياة الدنيا، ويتصدق من صلب ماله بألف درهم في كل يوم، ويحج ثماني حجج ويغزو ثماني غزوات فهو بين حج وغزو[١].

إن صورة الرشيد المتباينة في أوجهها كانت نتيجة لطبيعته ولتربيته وللعصر الذي عاش فيه، فعصره كان عصر بذخ وإمعان في الحضارة، وبذلك كانت صورته صورة عصر أكثر من كونها صورة إنسان، ومما يقرب تصرفاته إلى أذهاننا أنه كان دقيق الإحساس، حاد المزاج سريع التأثر إلى درجة تفقده توازنه أحياناً، فقد يثور غضباً ويفرط في الانتقام، وقد ترق عواطفه فيبكي ويظهر رحمةً متناهية وعطفاً عظيماً، وهكذا كانت تصرفاته تعكس هذه التيارات المختلفة[٢].

ومن أبرز القضايا في عهد الرشيد هي قضية البرامكة حيث قام الرشيد بقتلهم بدون سابق إنذار، ولن نسهب طويلاً في الحديث عن أسبابها بل سنذكر ما توصل إليه المؤرخون بهذا الشأن، فهناك سبب سياسي ، إذ أظهر البرامكة ميلاً سياسياً خطيراً مقصده نَقل الخلافة إلى العلويين، فهذا جعفر يُطلق سراح الثائر العلوي في بلاد الديلم يحيى بن عبد الله من السجن دون أن يستأذن الخليفة[٣]، وترد إشارة أخرى تبين أن الرشيد دفع موسى بن جعفر إلى الفضل بن يحيى وأراد منه فعل شيء فلم يفعله، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة، فأمر الرشيد بجلد الفضل[٤]، وذكر الطبري أن علي بن عيسى بن ماهان اتهم موسى بن يحيى البرمكي عند الرشيد في أمر خراسان، وأعلمه بطاعة أهلها له ومحبتهم إياه، وأنه يكاتبهم ويعمل على الانسلال

---

[١]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٥٩. الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٣٣. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٨٠.

[٢]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٣٤.

[٣]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٥٣.

[٤]) الأصبهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) مقاتل الطالبيين، ط١، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٠ ص٤١٣.

والوثـوب بـه معهـم، وقـد أثّـرت هـذه التهمـة فـي الرشـيد لدرجـة أنـه أمـر بسـجن موسـى سـنة (١٨٦هـ/٨٠٢م)[١]، و السبب المالي هو أن البرامكة كانوا قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال الحوادث سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله، وأنه طلب من جعفر عشرة آلاف درهم، فقال : لا توجد عندنا دراهم، ويعلق الدوري على هذا بقوله: هذا مع العلم بأن وارد الدولة بلغ في عهد الرشيد (٥٣٠.٣١٢.٠٠٠) درهماً[٢]، ويلخص ابن خلدون السبب المالي في نكبة البرامكة فيقول: " وإنّما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدّولة واحتجافهم أموال الجباية حتّى كان الرّشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرّف في أمور ملكه فَعظمت آثارهم وبعُدَ صّيتهُم وعمّروا مراتب الدّولة وخَططها بالرّؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم ، يقال إنّه كان بدار الرّشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها أهل الدّولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالرّاح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون وليّ عهد وخليفة حتّى شبّ في حجره ودرج من عشّه وغلب على أمره وكان يدعوه يا أبت فتوجّه الإيثار من السّلطان إليهم وعظمت الدّالّة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرّقاب وقصرت عليهم الآمال ...." [٣]، وهكذا أصبحت نكبة البرامكة علامة فاصلة في التاريخ العباسي.

أما عن ولاية العهد فيظهر أن أطماع الحالمين بالخلافة قد زادت إلى درجة دفعت الرشيد أن يعهد بولاية العهد لابنه عبد الله المأمون لأنه أكبر من محمد الأمين، ولكنه غيّر ذلك نزولاً

---

[١]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٩٣.

[٢]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٦٩.

[٣]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ ٢١-٢٢.

عند رغبة زبيدة وبني هاشم أخواله، وقد صرّح بذلك فقال: " ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه (الأمين) لقدّمت عبد الله عليه" [1]، وكان هذا سنة ١٧٥هـ/٧٩١م حيث أخذ له بذلك بيعة القوّاد والجند، وكان له يومئذ خمس سنين وجعله أميراً على سوريه[2]، وفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م بايع الرشيد لابنه عبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين، وولّاه خراسان، وما يتصل بها من حد همدان إلى آخر المشرق[3]، وفي سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م حجّ الرشيد ومعه ولداه وقوّاده ووزراؤه وقضاته، فلما قضى مناسكه كتب للمأمون كتابين أجهد الفقهاء والقضاة آراؤهم فيها، أحدهم على محمد بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه وتسليم ما ولي عبد الله من الأعمال وصيّر إليه الضياع والغلات، والآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم، وعلّق الكتابين في الكعبة [4]، وزاد الطين بلة أن الرشيد عهد لأولاده الثلاثة وقسم الامبراطورية بينهم فحصر منطقة الأمين بالعراق والمغرب وهو ولي عهده الأول[5].

إن الخطأ الذي وقع فيه الرشيد في ولاية العهد، وتقسيمه أرجاء الدولة بين أبنائه الثلاث كان يؤذن بوقوع الشر بينهم، ويجر الدولة إلى ويلات كبيرة، فقد وقع خلاف بين الأمين والمأمون تعددت أسبابه ودخلت عوامل عدة في إثارته، كان بعضها ناتج عن ظروف أحاطت بالأخوين ولم تكن من صنعهما، وبعضها كان من تدبيرهما وإن كان مرتبطاً بالأوضاع السابقة[6].

---

[1]) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٣٢.

[2]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٠٨.

[3]) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٣٣.

[4]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٦.

[5]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٦٥.

[6]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٨١.

ومع تولّي الأمين للحكم (١٩٤-١٩٨هـ/٨٠٩-٨١٣م) صارت هناك كتلتان فبنو هاشم كانوا حزباً مع الأمين يؤيدونه ويلتفون حوله[١]، إضافة إلى الكتلة العربية التي تكونت في خلافة الرشيد مع بعض العناصر الفارسية المنحرفة عن المأمون وبني سهل لأسباب نفعية [٢]، وكان الفرس بشكل عام يؤيدون المأمون ويشكلون كتلة معادية لجماعة الأمين[٣]، لقد مرّ الصراع بين الأخوين في دورين: الأول منهما دور دبلوماسي سلمي تميز النزاع فيه بكونه على شكل مراسلات، وبسفارات متبادلة بين الأخوين حول نصوص العهد المعلق في الكعبة[٤]، والثاني سنة ١٩٥هـ/٨١٠م عندما أمر الأمين بالإمساك عن الدعاء للمأمون وأعلن البيعة لولده موسى ولقّبه بالناطق بالحق وضرب دراهم ودنانير تذكارية، وبعث من سرق صحيفة العهد المعلقة بالكعبة وحرقها[٥]، وبذلك دخل الصراع بينهما في دور الصراع العسكري الذي انتهى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م بدخول جيش المأمون بغداد ومقتل الخليفة الأمين[٦].

ثم من سنة ١٩٨هـ/٨١٣م تبدأ خلافة المأمون، ونشير هنا إلى أن انتصار المأمون أدى إلى تقوية نفوذ الفرس واستيلائهم على المناصب الرئيسة من عسكرية ومدنية، فاجتمعت لهم رياسة السيف والقلم على حساب العرب [٧]، كما أن المأمون كان يظهر ميلاً واضحاً لآل أبي

---

[١]) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٧٥.

[٢]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٨٢.

[٣]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٨٢-١٨٣.

[٤]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٧. الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٩١.

[٥]) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٩٧.

[٦]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٨-١١٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤١٨. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٧٥.

[٧]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ٢٠٣.

طالب[1]، ولقد بقي المأمون في مرو بعد انتصاره على أخيه، ويجب ألا ننسى أثر بني سهل وميولهم الفارسية، وهم يفضّلون أن يكون مركز الدولة بين الفرس في خراسان، ثم إن تفويض المأمون إدارة البلاد إلى الفضل بن سهل أثر مهم في إحداث مشاكل أخرى للخليفة، إضافة إلى سخط بعض العناصر العربية على السياسة بعد مقتل الأمين فقاموا بثورة واسعة في الحجاز والعراق واليمن[2]، وانضم إلى طموح العلويين سخط العناصر العربية ضد سياسة الفضل بن سهل الفارسية، وقام هؤلاء بأول ثورة ضد المأمون بقيادة أبي السرايا[3]، وما أن انتهت سنة ٢٠١هـ/٨١٦م حتى قضى العباسيون على ثورات العلويين، ولم يبق في العراق سوى السخط من ولاية الحسن بن سهل[4].

وحين يكون الحديث عن عصر المأمون لا يمكننا أن نتجاوز أبرز قضيتين وهما:

أولاً قضية البيعة للإمام علي الرضا، والثانية هي المحنة المرتبطة بالاعتزال، أما بالنسبة للمحنة فقد تطرقنا إليها في ثنايا هذه الأطروحة، وعليه فإني سأختتم التمهيد بالبيعة لعلي الرضا، ففي رمضان سنة ٢٠١هـ/٨١٦م في مجمع حافل ضم الأمراء والأشراف ورجال الدولة أعلن أن ولي العهد هو علي الرضا بن موسى الكاظم، وبعد أسبوع أقيم احتفال كبير أقرّ فيه المأمون وابنه العباس بيعة الرضا ثم وزعت الجوائز والخلع على كبار رجال الدولة والشعراء الذين أشادوا بفضائل الرضا، وامتدحوا المأمون وزوّج المأمون الرضا ابنته أم حبيبة، وخضّر الثياب واللباس

---

[1]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٤٨.

[2]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٥٨.

[3]) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص١٠٢.

[4]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ٢٠٦.

والرايات وأمر بطرح السواد[1]، أما أثر هذه البيعة في أهل بغداد فقد كان كوقع الصاعقة، فمجرد بقاء المأمون في مرو ولّد في بغداد حرباً أهلية، لخشية أهلها من ضياع نفوذهم، وأنفوا من أن يكون واليهم الحسن بن سهل أجنبياً، كما أنهم أنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون[2]، وما إن سمعوا بيعة الرضا حتى ثار أهل محلة الحربية ضد الحسن بن سهل، وأخرجوه من بغداد، وذهبوا إلى صالح بن منصور وقالوا له: نحن أنصار دولتكم، وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس، فهلم نبايعك فإنا نخاف أن يخرج هذا الأمر عنكم[3]، إلا أنه رفض بيعتهم فبايعوا إبراهيم بن المهدي في ذي الحجة من سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ولقبوه بالمبارك[4].

وظلّ المأمون بعيداً عن بغداد وأخبارها ومجرياتها حتى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م حين أخبره الرضا بذلك[5]، ففهم عندئذ نوايا بني سهل ووضعه الخطر، فقتل الفضل بن سهل، وتخلص من الرضا سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م، ودخل بغداد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م[6]، حيث أقبل الناس على مبايعته والترحيب به، وعفا المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي ثم عزل الحسن بن سهل من ولاية العراق بعد مدة قصيرة، وأمر الناس بلبس السواد ثانية وبذلك قطع صلته ببني سهل.

---

[1]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١١٠-١١١. الدوري، العصر العباسي الأول، ص ٢١٠.

[2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٥٢٨.

[3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٥٠.

[4]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١١١.

[55]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ٢١٠.

[6]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١١١.

هذه لمحة موجزة استعرضنا فيها بإيجاز التاريخ السياسي للدولة العباسية منذ قيام الثورة وحتى ظهور الخليفة المأمون، وهي فترة يطلق عليها المؤرخون العصر الذهبي للدولة العباسية بمعنى انها كانت في أوج قوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

الفصل الأول : (المأمون : حياته والأوضاع السياسية والاقتصادية التي سادت في عصره)

ولادته

ولد المأمون في اليوم الذي تولى فيه أبوه هارون الرشيد الخلافة في بغداد في(١٤ ربيع الاول ١٧٠هـ –٧٨٦/٩/١٤م) وهو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، وهو سابع خلفاء بني العباس([١])، وأمه هي مراجل الفارسية([٢])، وقد قامت السيدة زبيدة ([٣]) بتربيته، أصبح وليا ثانيا للعهد عندما كان عمره ١٣سنة، وتولى الخلافة عندما كان عمره ٢٧ سنة، وقد دامت خلافته حوالي ٢٠ عاماً من مقتل أخيه الخليفة العباسي السادس محمد الامين في (٢٥ محرم ١٩٨هـ – ٨١٣/٩/٢٥م) إلى ان توفي غازياً في (١٨ رجب ٢١٨هـ – ٨٣٣/٨/١٠م)، وقد شهد عهده ازدهارا علميا وفكرياً لأنه شارك فيها بنفسه، ولهذا لقبه عدد من

---

[١]) اليعقوبي، أحمد بن اسحق (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي، ج٢، دار صادر، بيروت ١٩٧٠ ص٣٩٦. الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، ط١، ج٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ ص٢٣٥–٢٣٧.

[٢]) أم ولد اسمها مراجل، ماتت أيام نفاسها به. الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ٢٣٦.

[٣]) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، من فضليات النساء وشهيراتهن، وهي أم الأمين العباسي، اسمها أمة العزيز) وغلب عليها لقبها زبيدة) قيل: كان جدها المنصور) يرقصها في طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة! فغلب ذلك على اسمها، وإليها تنسب عين زبيدة) في مكة: جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة، تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥هـ/٧٨٢م ولما مات، وقتل ابنها الأمين، اضطهدها رجال المأمون فكتبت إليه تشكو حالها، فعطف عليها، وجعل لها قصرا في دار الخلافة، وأقام لها الوصائف والخدم، وكانت لها ثروة واسعة، قال الحريري في إحدى مقاماته: ولو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها ...) (ت٢١٦هـ/٨٣١م). العاملي، زينب فواز (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٨٩٥م ص٢١٥

المؤرخين بلقب "الخليفة العالم"، حيث أن المأمون كان عالماً فصيحاً مفوهاً، وفي عهده أسلم ملك التبت ([1]).

قرأ العلم، والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وعمل الرصد (اسم لموضع تعين فيه حركات الكواكب) فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، وسمع من كثير من العلماء، وكان من أكثر رجال بني العباس حزما، وعزما، ورأيا، وعقلا، وهيبة، وحلما، ومحاسنه كثيرة في الجملة، كان أبيض ربعة، حسن الوجه، تعلوه صفرة، قد وخطه الشيب، وكان طويل اللحية، أعين، ضيق الجبين، على خده شامة ([2]).

ولعل أظهر ما يدل على نجابة المأمون في صباه ما رواه الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد حيث يذكر أن الرشيد قال ذات يوم:(إني أسمع من ابني هذا– يعني المأمون– كلاما لست أدري أمن تلقين القيم عليه هو أم من قريحة؟ فادخلا إليه، فناظراه وأسمعا منه، وأخبراني بما تقفان عليه. فدخلا عليه وهو في أثواب صباه، فقالا له: إن أمير المؤمنين أمرنا بالدخول عليك ومناظرتك، فأي العلوم أحب إليك؟ قال: أمتعها لي. قالا: وما أمتعها لك. قَالَ: أثبتها عن

---

[1]) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج٥، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧ ص٥٧٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ج١٥، ط٢ ، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٣ ص٢٥. مدينة التبت مدينة كبيرة وأرضها منسوبة إليها وهي بلاد الأتراك التبتية وأهلها قوم يداخلون أهل فرغانة والبتم وأرض وخان ويسافرون إلى أكثر هذه البلاد ويتجهزون بالحديد والفضة والحجارة الملونة والجلود النمرية والمسك التبتي المنسوب إليها وهي مدينة على نشز عال وفي أسفلها واد يمر إلى بحيرة بروان جنوبا ولها سور منيع. الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩ ص٥١٣.

[2]) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م) تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ج١٠، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ ص١٨٤.

ثقة، وأقربها من أفهام مستمعيها. فقال له هشيم: جئناك لنعلمك فتعلمنا. ثم أخبرا الرشيد فقالا: إن هذا شيء أوله لحقيق أن يرجى آخره، ثم أعتق عنه مائة عبد وأمة، وألزمها خدمته([1]).

وذكر ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم أن أم جعفر عاتبت الرشيد على تقريبه المأمون دون ابنها محمد الأمين، فدعا خادما بحضرتها، وقال لَهُ: وجه إلى المأمون والأمين خادمين حصيفين يقولان لكل واحد منهما عَلَى الخلوة: ما يفعل به إذا أفضت الخلافة إِلَيْهِ؟. فأما محمد فقال للخادم الذي مضى إليه: أقطعك وأوليك وأبلغ لك. وأما المأمون فرمى الخادم بالدواة وقال: يا ابن اللخناء تسلني ما أفعل بك بموت أمير المؤمنين؟ بل نكون جميعا فداء له ([2])، وهي روايات تدل في مضمونها على حصافته وحدة ذكائه وعلى جدارته بالخلافة.

خلافته:

على الرغم مما عرف عن الرشيد من ذكاء وبعد نظر فإنه وقع فيما وقع فيه أسلافه، فقد لجأ تحت ضغط من زوجته زبيدة والقوة العربية في الدولة إلى تعيين الأمين ولياً للعهد سنة (١٧٥هـ/٧٩١م)، وجعل له ولاية العراق والشام حتى أقصى المغرب([3])، وما لبث سنة (١٨٢هـ/٧٩٩م) أن عين المأمون في ولاية العهد الثانية على أن تكون له ولاية خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية([4])، وأعقب ذلك سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م) البيعة لابنه القاسم بعد

---

[11]) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م) تاريخ بغداد وذيوله، ط١، ج١٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ص١٨٢. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، ط١، ج١٠، دار الكتب بيروت، لبنان ١٩٩٢ ص٥٠.

[22]) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص٥٠.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٢٤٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٨٨.

[4]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٢٦٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٢٧.

المأمون ودعاه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور ([1])، وقد اتُبع هذا الاتجاه نحو تقسيم الدولة إلى قسمين شرقي وغربي منذ قيام الدولة العباسية، فكان الخلفاء يقلدون كل قسم لأحد القادة المتنفذين أو المظفرين أو أولياء العهود فإذا كانوا صغار السن عين الخليفة من ينوب عنهم، وهؤلاء بدورهم كانوا يستخلفون العمال على ولاياتهم .

إن الحل الذي استقر عليه الرشيد وهو تقسيم الدولة بين أبنائه الثلاث كان حلاً غير عملي من المحتمل أن يؤدي إلى انفجار الوضع السياسي في أي لحظة، ولا بد من أن نقر بأن الرشيد قد قسم الدولة فعلاً إلى شطرين لا يرتبط أحدهما بالآخر ([2])، فبعد وفاة الرشيد وحدوث الخلاف بين الأمين والمأمون تكتل العرب بزعامة الفضل بن الربيع إلى جانب الأمين، في حين انضم الفرس بزعامة الفضل بن سهل إلى جانب المأمون، وانتهى الصراع بمقتل الأمين وتولى المأمون الخلافة سنة (١٩٨هـ/٨١٤م)، وبويع بالخلافة وهو بخراسان، ولم ينتقل إلى بغداد مقر الخلافة العباسية، بل ظل مقيماً في مدينة مرو ([3]) بخراسان مدة ست سنوات تقريباً، انتقل بعدها إلى بغداد سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م)([4])، وقد تسبب عن بقاء المأمون بعيداً عن عاصمة دولته بغداد بعض الأزمات السياسية خصوصاً

---

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٢٧٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٤٣.

[2]) فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية، ج١، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٣ ص٢٢١.

[3]) مرو هي أشهر مدن خراسان، وقصبتها وهى العظمى بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً، وإلى سرخس ثلاثون فرسخا، وبها نهر الرزيق بتقديم الراء على الزاى، والشاهجان، وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها، ومنها يسقى أكثر ضياعها ، به حملت أم أحمد بن حنبل به ثم قدمت به بغداد وهو حمل فولد بها. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان، ج٥، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٩٥ ص١١٢.

[4]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٤..

أنه فوّض إدارة البلاد إلى وزيره الفضل بن سهل([1]) وأخيه الحسن بن سهل، وأثار تحيز المأمون إلى الفرس وبيعته للإمام علي الرضا واتهامه بالتشيع غضب أهل العراق من بني هاشم ووجوه العرب، فأشاعوا أن بني سهل قد

اغتصبوا الخلافة واستبدوا بالرأي دون الرجوع إليه([2]).

بويع المأمون البيعة العامة ببغداد في سنة (١٩٨هـ/٨١٤م)، وكان المأمون من أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم، وكان فطناً شديداً كريماً، حدث عنه أنه لما كان بدمشق أضاق إضاقة شديدة وقل المال عنده، فشكا ذلك إلى أخيه المعتصم، وكان عاملاً له، فقال المعتصم: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد أسبوع. فوصل في تلك الأيام من الأعمال التي كان المعتصم يتولاها ثلاثون ألف ألف ألف درهم، (الألف مكررة ثلاث مرات) فقال ليحيى بن أكثم: اخرج بنا لننظر إلى هذا المال. فخرج، وخرج الناس، وكان قد زين الحمل وزخرف، فنظر المأمون منه إلى شيء حسن كثير، فاستعظم الناس ذلك واستبشروا به. فقال المأمون: إن انصرافنا إلى منازلنا بهذا المال وانصراف الناس خائبين لؤم (بمعنى أن المأمون قد استكثر المال على نفسه والناس في ضائقة مالية) فأمر كاتبه أن يوقع لهذا بألف ألف، ولذاك

---

[1]) الفضل بن سهل السرخسي، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) وكان مجوسياً، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين الحرب والسياسة)، مولده ووفاته في سرخس بخراسان) قتله جماعة بينما كان في الحمام، قيل: إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره. وكان حازما عاقلا فصيحا، من الأكفاء. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م) تاريخ بغداد وذيوله، ط١، ج١٢، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ص٣٦٣.

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٥٥-٥٦٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٨٠-٤٨٢.

بمثلها، ولآخر بأكثر منها، حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ألف درهم، والألف مكررة ثلاث مرات، ورجله في الركاب، ثم حول الباقي على عارض الجيش برسم مصالح الجند([1]).

وكان المأمون من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة في مملكته . منها: أنه هو أول من فحص منهم عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر في علوم الأوائل، وتكلم في الطب وقرب أهل الحكمة ([2]).

لم تستقر الدولة سياسياً في عهد المأمون، فخرج عليه بالكوفة محمد بن طباطبا العلوي، يدعو إلى الرضى من آل محمد، والعمل بالسنة، وكان قائد جيشه هو أبو السرايا الشيباني، وهذا يذكرنا بالمختار الثقفي مع محمد الحنفية، والتف حول هذه الحركة العلوية الكثير من الناس والأعراب، فالتقاه عسكر المأمون، وقائده زهير بن المسيب، فكانت الغلبة للعلويين، ثم توفي ابن طباطبا فجأة، ويختلف المؤرخون في عرضهم لهذه الحادثة، فالطبري يتهم أبا السرايا أنه دس له سماً، لسبب غير معروف([3]) وأقام في الحال مكانه أمرد علويا، وقوي الطالبيون، وأخذوا واسطا والبصرة، وعظم الخطب، ثم حشد الجيش عليهم هرثمة، وجرت فصول طويلة، وتقاتلوا أكثر من مرة ، ثم هرب أبو السرايا والطالبيون من الكوفة، ثم قتل أبو السرايا سنة

---

[1]) ابن طباطبا، محمد بن علي(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، ط١، تحقيق عبد القادر محمد، دار القلم، بيروت، ١٩٩٧، ص٢١٣.

[2]) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، ص٢١٤.

[3]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، راجعة نواف الجراح، ج٨، ط١، دار صادر بيروت ٢٠٠٣، ص٥٢٩. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص٧٣.

(٢٠٠هـ/٨١٦م)، وهاجت العلوية بمكة، وحاربوا، وعظم هرثمة بن أعين، وأعطي إمرة الشام، فلم يرض بها، وذهب إلى مرو، فقتلوه([1]).

وثم في سنة (٢٠١هـ/٨١٧م) ابتدع المأمون شيئاً جديداً وهو ولاية العهد لشخصية علوية وهو الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وبايعه بولاية وزوجه من ابنته أم حبيب وأمر جنوده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضر شعار العلويين وكتب بذلك إلى سائر أنحاء المملكة، ويبدو أن المأمون كان مدفوعاً في ذلك بشعور ديني وسياسي يرمي إلى كسب رضا العلويين والخراسانيين على حد سواء([2])،، فكان لذلك الأمر أسوأ أثر في أهل بغداد؛ إذ وقع عليهم كالصاعقة لأن أهلها كانوا يخافون الشيعة ويمقتونهم، بينما لم يعارض زعماء البيت الملكي من العباسيين في ذلك، فلم تأت آخر جمعة من هذه السنة حتى دُعي لإبراهيم بن المهدي ولقبوه بالمبارك على المنابر خليفة بدلًا من المأمون، وسرعان ما بويع له بالخلافة، وكان إبراهيم بارعًا في الموسيقى والغناء والشعر، ولكن كانت تنقصه المؤهلات التي يستطيع بها أن يضطلع بأعباء الملك التي ألقيت على عاتقه، والتي ناء بحملها مدة سنتين ([3]).

---

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٣٤. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص٨٣.

[2]) يذكر الاصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين "ان المأمون بعث الفضل والحسن ابني سهل إلى علي الرضا، نقلا إليه رغبة الخليفة في توليته عهده، فرفض الاستجابة فهدده بضرب عنقه ان هو استمر في الاباء، فدعاه المأمون لمجلسه ولكنه استمر في الرفض فهدده بالقتل قائلا: "لابد من قبولك ما أريد فاني لا اجد محيصاً عنه، فأضطر الرضا بقبول الامر ورضخ للأمر محتجاً بدرء الخطر الذي يتنافى ومنهج مدرسة أهل البيت العظام. ولكن لربما هناك ظروفا اخرى سكت المؤرخون عنها. الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٧٦م) مقاتل الطالبين، ط١، تحقيق أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، بيروت ١٩٩٦ ص٥٦٣.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٥٥. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص٩٤. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ،

لم يكن هذا القرار عبثياً إذ لا بد لشخص كالمأمون من مبررات لهذا، ويورد المؤرخون المحدثون عدة احتمالات منها:

١) ان الخلافة العباسية تسمى خلافة آل محمد، فلم يكن هنالك قانون يمنع المأمون ان يعين علوي وليا لعهده خاصة ان المأمون اقتنع ان علي الرضا هو افضل الهاشميين، وهذا ما فعله ايضا قبيل وفاته عندما جعل الخلافة لأخيه المعتصم ولم يسلمها لابنه العباس، قال ابو الحسن المسعودي في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) : "إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي، رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً هو أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد"([1]).

٢) بسبب استقرار المأمون في خراسان التي كان يغلب عليها الفرس الذين كانوا يميلون إلى العلويين، وفي ذلك الوقت لم يكن يستطيع المأمون ان يستقر بأمان في بغداد فمن المحتمل ان المأمون قام بذلك ليجاري الفرس([2]).

٣) يذكر الدوري أن الفضل بن سهل هو صاحب الدور الكبير في زرع فكرة ولاية العهد في ذهن المأمون لشخص علوي، ويدلل على ذلك بلوم البغداديين للفضل بن سهل وتدبيره لهذه الخطة، ولأن ارجاع الخلافة لشخص علوي معناه إبقاء مركز الخلافة في خراسان وهذه رغبة عارمة لدى الفضل بن سهل([3]).

ط٢ ،ج١٤، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٣ ص٦. رفاعي، احمد ، عصر المامون، مرجع سابق، ص٢٦٠.

[1]) المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ ص٤٨.

[2]) الزغاري، العهد العباسي، د. م، ١٩٨٦، ص٢٠٥.

[3]) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، بغداد ، ١٩٤٥، ص١٧٥.

من ناحية أخرى ذكر القفطي في كتاب (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) تفسيراً طريفاً لولاية العهد لعلي الرضا، وهو أن المأمون وجد الناس قد غالوا واشتطوا في الكلام عن بعض العلويين – من سلالة علي بن أبي طالب– ورفعوهم إلى مستوى الأنبياء وألصقوا فيهم صفات أخرجتهم من الشريعة، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل، ولكن ليس بالإمكان اجراء عقاب جماعي للعامة، فردة الفعل ستكون سلبية، واستقر أخيراً على رأي مفاده أن يضع الإمام على الرضا في منصب ولاية العهد، عندئذ يتحقق للعامة أن هؤلاء هم آدميون وليس فيهم من الصفات التي وصموهم بها لكثرة اختفائهم عن الأنظار، وحين يتحقق ذلك يعيد الأمر إلى حالته الأولى ([١]).

وهناك رواية يوردها السيوطي يوضح فيها سعي المأمون إلى الاحسان إلى آل على بن أبى طالب رضي الله عنه ورد الجميل لهم، حيث جاءت عمة أبيه زينب بنت سليمان بن على، وكانت موضع تعظيم العباسيين وإجلالهم، وهى من جيل المنصور، وسألته: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت على؟ فقال: يا عمة، إني رأيت عليّا حين ولى الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحدًا من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم (وصل إليهم) كافأه على فعله، فأحببت أن أكافئه على إحسانه، فقالت: يا أمير المؤمنين إنك على بِرِّ بنى علىّ والأمر فيك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم، ويذكر ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه عندما

[١])القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط١، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٥، ص٩٨.

تولى الخلافة ولى عبدالله بن عباس البصرة، وعبيد الله بن عباس اليمن، ومعبد بن عباس مكة، وقثم بن عباس البحرين([1]).

إن ما يتبين لدينا أن هذا القرار لم يتخذ من قبل المأمون الا بعد مراجعة شاملة وتخطيط محكم اخذ فيه كل الظروف والملابسات المحيطة بالخلافة والدولة بنظر الاعتبار، لذا وبناءً على هذا التصور المتكامل للسياسة العباسية آنئذٍ عمل الخليفة المأمون على تحقيق خطوتين في غاية الأهمية، أولاً: اتباع سياسة الحياد تجاه كل الخلفاء من الامويين والعباسيين فلا يذكر أحداً منهم بسوء، ولا حتى غيرهم من الصحابة حين قال: (والله ما أستجيزُ أن أنتقص الحجاج الثقفي فكيف السلف الطيب) ([2]). لذا فقد منع شتم معاوية على المنابر انتقاما منه لشتم الامام علي في عهده.

ثانياً: عمل المأمون على اقناع العباسيين بأن البيعة لصالحهم في النهاية وهذا ما يفسر سر المؤامرة السياسية البارعة التي أقدم عليها المأمون حين يقول: (وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي الرضا، بعد استحقاق منه لها في نفسه، فما كان ذلك مني الا ان أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم)([3]). وكذلك ما خاطب به الحسن بن سهل حين

[1])السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، بيروت ٢٠٠٤ ص٢٢٦-٢٢٧.

[2]) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) كتاب بغداد، تحقيق عزت الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص٤٥.

[3]) المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، بحار الانوار، ط١، ج٤٩، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠ ص٢١٣

يقول: إن علياً الذي أظهروا سخطهم وتبرمهم من اسناد ولاية العهد له قد قضى، فلا شيء اذن يمنعكم من العودة إلى طاعتي وموالاتي ([1]).

أياً كان السبب الذي دفع المأمون إلى بيعة شخصية علوية فالذي حصل هو أنها كانت سابقةً في تاريخ بني العباس، والمؤشرات كلها تشير لقرب حدوث حرب بين البغداديين الذين أعلنوا خليفةً آخر وبين المأمون الخليفة المقيم في مرو، وبالفعل بدأ الحصار لبغداد التي استطاعت الصمود لفترة تقرب من السنة وهنا لا بد أن نشير في هذا الصدد لحركة المتطوعة التي نظمها سهل بن سلامة والتي كان هدفها الرئيس حفظ الأمن والنظام في بغداد، وفي أوائل سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م) كان العباسيون وأهل بغداد لا يزالون صامدين أمام سلطة المأمون رغم أن الخليفة بعث إليهم برسالة يدعوهم فيها للمصالحة والسلم، فإنهم رفضوا ذلك مما دعا الخليفة بنفسه للتحرك نحو بغداد، وكان على رأس الجند حميد الطوسي (ت٢١٠هـ/٨٢٥م) وعلي بن هشام المروزي (ت٢٢٠هـ/٨٣٥م) اللذان حاصرا بغداد حتى استلمت في أواخر سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م) بعد سنة واحدى عشر شهراً من التحدي لسلطة الخليفة العباسي وبذلك عادت بغداد عاصمة الدولة العباسية([2]).

ولكن ما الذي دفع المأمون لقيادة الجيش بنفسه، ومن الذي أخبره عن الوضع في بغداد، تؤكد المصادر أن عليًا الرضا خلا بالخليفة وأخبره أن وزيره الفضل يخفي عنه حقيقة أمور الدولة، وأن أهل العراق يقولون عنه، أي الخليفة :إنه مجنون أو مسحور، وأن الخلافة توشك أن

---

[1]) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن (ت٢٧٦هـ /٨٨٩م)، عيون الأخبار، ج٢، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٩٩٨ ص١٧٠.

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٤-٥٦٦. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص١١٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٥-٥٠٦. فوزي، الخلافة العباسية، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

ثُقلتَ من يده بين إبراهيم والعلويين، وقد فوجئ المأمون حين تأكد من صحة هذه الأخبار عن طريق رجالات بلاطه مثل يحيى بن معاذ وسعيد بن عمران، كما أشاروا إلى اغتيال القائد هرثمة بن أعين الذي لم يرتكب ذنباً سوى محاولته حماية الدولة والخليفة من سوء تدبير الفضل بن سهل، حينها قرر المأمون العودة إلى العراق بعد سماعه بالموقف واستطاع التخلص من الفضل بن سهل حيث قتل في الحمام عن عمر يناهز السبعين، ولكن المأمون أظهر امتعاضه لمقتل الفضل وعين أخاه الحسن وزيراً مكانه، وتزوج المأمون ابنته بُوران([1]).

بعد ذلك بفترة حدث حادث آخر لم يكن متوقعًا؛ ذلك أنه في أثناء سفر الخليفة إلى بغداد نزل بطوس في فصل الخريف، وهناك مات علي الرضا فجأةً وقيل :إن موته كان بسبب إفراطه في أكلة عنب، فدفنه المأمون بجوار قبر أبيه لرشيد([2])، يلاحظ أنه في مثل هذه الأحوال تنتشر الإشاعات، وتكثر الأراجيف ، كما أنه يصعب الوقوف على الحقيقة لتضارب الإشاعات واختلاف وجهات فمثلاً مسكويه وهو معروف بميوله الشيعية لا يتهم المأمون بل ينقل الخبر عن الطبري دون تعليق([3])، بينما يذكر الأصفهاني في مقاتل الطالبيين أن المأمون هو من دي له السم([4])، يلمح ابن الأثير تلميحاً مبطناً وكأنه يتهم المأمون، فموت علي الرضا بحبة عنب غير منطقي من وجهة نظره بقوله: (وهذا عندي بعيد) ([5]) بيد أن الرعاية التي أظهرها المأمون لعلي

---

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٤-٥٦٦. مسكويه، أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ط٢، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ٢٠٠٠ ص١٥٦-١٥٧. فوزي، الخلافة العباسية، ج١، ص٢٥٤-٢٥٥.

[2]) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٤١.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٨. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٤١.

[4]) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٥٧.

[5]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٤.

الرضا خصوصًا بعد توثيق عُرا العلاقات بعد المصاهرة قد تدفع هذه الشبهة عن الخليفة، ولا بد من أن نذكر أن المؤرخين المحدثين اتهموا المأمون بقتل علي الرضا([1]).

من هنا يتبين أن الفضل وعليًّا كانا عقبة في سبيل المأمون لا يزيلها من سبيله إلا موتهما، وأن المأمون كان يعدُّ عليًّا عقبة في سبيل إرضاء أهالي بغداد، إلى أنه في الوقت الذي كتب فيه كتاب تعزية إلى الحسن بن سهل ينعى فيه موت عليٍّ أرسل كتابًا آخر إلى أهل بغداد يقول لهم فيه :إن عليًّا الذي أظهروا سخطهم وتبرمهم من إسناد ولاية العهد له قد قضى، فلا شيء إذن يمنعهم الآن من العودة إلى طاعته وموالاته([2]).

وبعد أن مرض المأمون مرضه الأخير ترك ابنه وعهد بالخلافة لأخيه المعتصم مع أن ابنه العباس كان يتمتع بشهرة واسعة بين قادة الجيش، ولعل السبب الرئيس الذي حمله على ذلك هو أنه رأي في شكيمة المعتصم ومتانة خلقه ما يضمن له تنفيذ السياسة التي رسمها لدولته. وجاءت وصية المأمون للخليفة المعتصم على النحو التالي:

" يا أبا إسحاق ادن مني واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك في القرآن واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهلته فكان قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية العوام فإن الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ولا ينهين إليك امر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأتهم وعجل الرحلة عني والقدوم إلى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء

---

[1]) الدوري، العصر العباسي الأول، ص١٧٧. فوزي، الخلافة العباسية، ج١، ص٢٥٥.

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٨.

القوم الذي أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت والخرمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلد وأكنفه بالأموال والسلاح والجنود من والفرسان والرجالة فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من انصارك وأوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه واعلم ان العظة إذا طالت أوجبت على السامع لها والموصي بها الحجة فاتق الله في أمرك كله ولا تفتن"([1]).

وهذه الوصية لم يوص بها المأمون إلا والعباس حاضر، ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد به الوجع، وأحسَّ بمجيء أمر الله فقال له: " يا أبا إسحاق، عليكَ عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرنّ طاعته على معصيته، إذ أنا نقلتها من غيرك إليكَ؟ قال: اللهم نعم، قال فانظر من كنت تسمعني أقدمه على لساني فأضعف له التقدمة، عبد الله بن طاهر أقره على عمله ولا تهجه فقد عرفت الذي سلف منكما أيام حياتي وبحضرتي، استعطفه بقلبك، وخصه ببرك، فقد عرفت بلاءه وغناه عن أخيك، وإسحاق بن إبراهيم فأشركه في ذلك، فإنه أهل له، وأهل بيتك، فقد علمت أنه لا بقية فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصيانة لنفسه عبد الوهاب عليك به من بين أهلك، فقدمه عليهم، وصير أمرهم إليه. وأبو عبد الله بن أبي داود فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك، ولا تتخذن بعدي وزيرًا تلقي إليه شيئًا، فقد علمت ما نكبني به يحيي بن أكتم في معاملة الناس وخبث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة مني، فصرت إلى مفارقته قالياً له غير راضٍ بما صنع في أموال الله وصدقاته، لا جزاه الله عن الإسلام خيرًا! وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن

[1])الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٨، ص٦٤٨-٦٤٩.

مسيئهم، وأقبل من محسنهم، وصلاتهم فلا تغفل في كل سنة عند محلها فإن حقوقهم تجب من وجوه شتي..............([1]).

صفاته

قرأ العلم في صغره وسمع من هشيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضرير وطبقتهم، وروى عنه يحيى بن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي والأمير عبد الله بن طاهر، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً ورأياً ودهاء وشجاعة وسؤدداً وسماحة. كان أبيض ربعة حسن الوجه تعلوه صفرة، وقد خطه الشيب، أعين طويل اللحية ([2]).

هذه صفاته الخلقية وسيرة تعليمه حين كان صغيراً، ولكن ما يلفت الانتباه هو أننا نجد صورتين متناقضتين للمأمون فأحياناً نجده رحيماً رقيق القلب وأحياناً متعطشاً للدماء وأحياناً أخرى زاهداً وأحياناً شارباً للخمر ومبذراً، وإن شخصية فذة كشخصية المأمون لن تمر بسهولة على المؤرخين، وسأحاول إيراد ما ذكر عنه سلباً وإيجاباً.

فمن صفاته العطف والشفقة فيروى أن شاباً سرق سرقة، فجيء به إلى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يديه فأنشد الشاب يقول:

يدي، يا أمير المؤمنين، أعيذها ... بعفوك أن تلقى نكالاً يشينها

---

[1]) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٨، ص٦٤٩.

[2]) الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، ط١، ج٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ ص٢٣٥-٢٣٧.

فلا خير في الدنيا ولا راحةً بها ... إذا ما شمالٌ فارقتها يمينها

وكانت أم الشاب واقفةً على رأسه، فبكت وقالت: يا أمير المؤمنين إنه ولدي وواحدي، ناشدتك الله إلا رحمتني وهدأت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة. فقال المأمون: هذا حد من حدود الله تعالى. فقالت: يا أمير المؤمنين! اجعل عفوك عن هذا الحد ذنباً من الذنوب التي تستغفر منها، فرق لها المأمون وعفا عنه ([1])، وقال المأمون، قال: لو عرف الناس حبي للعفو، لتقربوا إلي بالجرائم، وأخاف أن لا أوجر فيه. وعن يحيى بن أكثم: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا([2])، وكان جوادا، ممدحاً، معطاء، ورد عنه أنه فرق في جلسة ستة وعشرين ألف ألف درهم،([3]).

وعن يحيى بن أكثم قال : كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء، فجاء رجل قد شمر ثيابه، ونعله في يده، فوقف على طرف البساط، وقال : السلام عليكم . فرد المأمون، فقال : أتأذن لي في الدنو ؟ قال : ادن، وتكلم، قال : أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر ؟ قال : لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضا بي، فرأيت أني متى خليت الأمر ، اضطرب حبل الإسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه، فأسلم إليه. فقال: السلام عليك ورحمة الله . وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره، فرجع، فقال: مضى إلى

---

[1]) الاتليدي، محمد دياب (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ ص٢٢٢.

[2]) الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٢٣٦.

[3]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، ط١، ج١٠، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥ ص٢٧٦.

مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيئته، فقالوا : لقيت الرجل ؟ قال : نعم، وأخبرهم بما جرى، فقالوا : ما نرى بما قال بأسا، وافترقوا . فقال المأمون : كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب ([1])، بمعنى أن هؤلاء قد اقتنعوا بحسن كلام المأمون وقوة حجته وفصاحته، ولم يبد منه أي شيء تجاههم كأن يعاقبهم مثلاً.

إن ما سبق ذكره من روايات هي الصورة الإيجابية، أما صورته السلبية فقد بدت في الروايات التالية فمثلاً عُرِف عنه أنّه كان شغوفاً بالموسيقى، و السماع إلى أصوات المغنّين من الرجال و النساء، و من شدّة شغفه بالغناء فقد كان في بعض الأحيان يدعو سائر المغنّين في بغداد للمثول بين يديه، ومنذ الصباح الباكر([2])، ليفتتح يومه بإشعال طقوس الموسيقى، و كان في مجلسه يجلس مكللاً وسط المغنيّات الجميلات، إذا كان يُجلِس عشر مغنيّات عن يمينه و عشراً عن يساره ([3])، و كان يسرف في الإنفاق على هؤلاء المغنيّات وعلى غيرهنّ، فقد كانت نفقاته على مسرّاته ستّة آلاف دينار كل يوم([4]).

وورد أنه كان شديد التبذير فقد دخل يوماً إسحاق على المأمون في زمن الورد، فقال لي: يا إسحاق! هل قلت شيئاً في الورد؟ قلت: أقول بسعادة أمير المؤمنين. وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشيء، فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهراً متفكراً، فلم يفتح علي بشيء، فلما أصبحت غدوت إلى دار الخلافة، وإذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون،

[1]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٧٨.

[2]) الاصفهاني، مقاتل الطالبين، مرجع سابق، ٧٥/٢١.

[3]) الحفني، د. محمود احمد: إسحاق الموصليّ الموسيقار و النديم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، ص١٧٥.

[4]) ابن طباطبا، محمد بن علي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، مرجع سابق، ص٢٢٦.

ومعه سبع وردات على صينية فضة، ينتظر الإذن في الدخول بها عليه، فسألته المهلة بها قليلاً، فامتنع، سألته ثانياً، وقلت: أمهل قليلاً، ولك بكل وردة دينار. فأجابني إلى ذلك فدفعت له سبعة دنانير، وأحببت أن لا يصل إليه الورد قبل وصول الشعر، وخرجت أقصد الأزقة لعلي أسمع شيئاً من أحد أو ينبعث خاطري ولو ببيت واحد، فبينما أنا كذلك وإذا أنا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول:

اشرب على ورد الخدود فإنه ... أزهى وأبهى، فالصبوح يطيب

ما الورد أحسن من تورد وجنة ... جمراء جاد بها عليك حبيب

صبغ المدام بياضها فكأنه ... ذهبٌ بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتي، ودخلت مسجداً بالقرب منه وطلبته، فلما أقبل سألته أن يمليها علي فاعتل، وقال: إن أردت فاعطني بكل بيت عشرة دنانير، فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت أنا وغلام الفضل بن مروان، وإذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة، فلما جسيت العود قال لجواريه: اسكتن، فقد جاء إسحاق، فقدمت ذلك الورد بين يديه وأنشدت الأبيات فسمعت الشهيق والزفير من وراء الستارة ثم أخرج إلي بدرةٌ فيها عشرة آلاف درهم، فأعدت الأبيات، فأخرج إلي بدرة أخرى، فأعدت الثالثة فأخرج إلي بدرة ثالثة، فأخذت في غير الشعر، فخرج إلي خادم وقال: يقول لك أمير المؤمنين لو دمت على إنشادك لدمنا على البدرة ولو إلى الليل([1]).

وورد عنه كذلك أنّه كان باطشاً وسفّاكاً، على الرّغم من حلمه وكرمه وعفوه، وتقديره للعلوم و العلماء. ويروي المسعوديّ في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر الخبر الآتي: « وغلب على

[1])الاتليدي، محمد دياب، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص٩٠-٩١.

المأمون الفضل بن سهل، حتى ضايقه في جارية أراد شراءها، فقتله، وادّعى قوم أن المأمون دسّ عليه من قتله)([1]).

إن الترجيح بين هذه الروايات في غاية الصعوبة، ولكن شخصية المأمون التي عرفت بعمق تفكيرها وببعد ثقافتها ومناقشته للعلماء في قضية حساسة كقضية خلق القرآن كما سيأتي لاحقاً تجعلنا نرجح أن معظم الروايات التي كان من شأنها الحط من قدر المأمون هي روايات مبالغ فيها أو مختلقة أحياناً من مخالفيه سواء كانوا سنة أم شيعة.

وفاته: توفي المأمون في (١٨ رجب ٢١٨هـ - ٨٣٣/٨/١٠م) وله ثمان وأربعون سنة، بالبذندون([2]) قرب طرسوس، فنقله ابنه العباس، ودفنه بطرسوس، في دار خاقان خادم أبيه ([3]). وكانت خلافته عشرين سنةً وستة أشهرٍ([4]).

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ سياسة المأمون تجمع المواقف المتناقضة ومحاولة التوفيق بينها، فهو يميل إلى الفرس تارةً وإلى العلويين تارةً أخرى، فاستطاع بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة ويرضي جميع الأحزاب ويتغلب على جميع الصعاب.

---

[1]) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج٢، ص٣٦. ذكرنا سابقاً أن المأمون قتل الفضل بن سهل، وليس هذا هو السبب الحقيقي لقتله.

[2]) بذندون قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ج١، ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٩٥ ص٣٦١-٣٦٢.

[3]) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٨، ص٦٥٠.

[4]) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، ج١٧، تحقيق احمد الارناؤوط، ، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ ص٣٤٩.

الأحوال السياسية والاقتصادية في عهد المأمون

بعد أن استتب الأمر للمأمون بعد مقتل الأمين، استصدر الفضل بن سهل أمرين من الخليفة، أولهما بتولية شقيقه الحسن بن سهل جميع ما تم فتحه على يد طاهر بن الحسين فولاه الموصل والشام والجزيرة والمغرب([1])، وكتب إليه أن يبادر إلى الشخوص إلى الرقة لمحاربة نصر بن شبث الذي خرج على المأمون([2])، والأمر الثاني إلى هرثمة بن أعين يكلفه بالشخوص إلى خراسان([3])، وقد فلّ هذا الأمران من عزائم طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين، وخسر المأمون بذلك خدمات أعظم قائدين لدى الخلافة العباسية، وانطلقت الهمسات ثم الصيحات باتهام المأمون بميله للخراسانيين، وأنه أضحى آلة في أيديهم وتحت تصرف آل سهل، وخرج محمد بن إبراهيم العلوي المعرف بابن طباطبا بالكوفة ([4])، وقام بتدبير أمره رجل كان من رجالات هرثمة بن أعين ومن كبار أنصاره، وهذا الرجل هو أبو السرايا الذي كان اسمه السري بن منصور([5])، وبلغ من أمره أنه ضرب الدراهم باسمه وجنّد الجنود، حتى اضطر الحسن بن سهل أن يسترضي هرثمة بن أعين ويستعينه ليكفيه شر هذا الخارج القوي، فقمع هرثمة ثورة أبي السرايا وانتهت أعمال هرثمة بمقتل أبي السرايا سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م([6])، إلا أن ثائراً قوياً خرج في

---

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٢٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٦٧.

[2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥١٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٦٧.

[3]) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٧.

[4]) ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٩٧٧ ص٤٦٨.

[5]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٦٩. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٢٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٦٥.

[6]) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (ت٢٤٥هـ/٨٦٠م) المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت) ص٤٨٩.

هذه السنة في البصرة هو زيد بن موسى الطالبي المعروف بزيد النار، وسمي كذلك لكثرة ما حرقه من دور العباسيين وأتباعهم في البصرة([1])، كما خرج إبراهيم بن موسى الطالبي في اليمن، وخرج أيضاً خارجي آخر هو حسن بن الحسين، ذهب إلى علوي وداع محبب معروف في مكة والمدينة هو محمد بن جعفر ونصّبه خليفة اسماً وجعل السلطان بيده فعلاً([2]).

أما هرثمة فتوجه إلى خراسان ليشرح للمأمون الحالة السيئة التي ولّدها عدم توجه المأمون إلى بغداد، ولكن الفضل بن سهل تآمر عليه فسجن ومات في السجن بعد أيام، واعتقد الناس أن الفضل قتله بسبب المنافسة بينهما([3])، وثار أهل بغداد لموت هرثمة وطرد الجند الحسن بن سهل من بغداد وعرض أهالي بغداد والجند الخلافة على المنصور بن المهدي والبيعة له فأبى ذلك، ولكنه عاد فقبل أن يتولى الحكم باسم الخليفة المأمون([4])، وكان الحسن قد أخرج من بغداد، وسئم الجند في بغداد القتال فاتفقوا مع الحسن بن سهل أن يعود إلى بغداد بعد أن أصدر عفواً عاماً ووعد أن يدفع إلى الجند مرتباتهم عن ستة أشهر، وأن يدفع إلى ذوي المعاشات أرزاقهم حسبما هو مدرج بقوائمهم([5]).

ويبدو أن المأمون لغرض سياسي هو إرضاء الثائرين العلويين وتسكيناً لهم، أو ربما لميله إليهم، اختار علي الرضا ولياً للعهد وهو ثامن الأئمة الاثني عشرية، على أساس أنه أهل لها،

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٣٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٧١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٧٧.

[2]) الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) المعرفة والتاريخ، ط٢، ج١، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ ص١٩٣. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٤٠.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٦٤. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٣٩.

[4]) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة د.ت) ص٣٠٣.

[5]) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٧٠. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٥٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٦٥.

مع العلم أنه كان يكبر المأمون باثنتين وعشرين سنة، فأغضب ذلك أهل بغداد إذ شعر العباسيون بأن ذلك كان ضربة موجهةً إليهم للقضاء على حكمهم، فدعوا لإبراهيم بن المهدي على المنابر خليفة بدلاً من المأمون([1]).

ونشب القتال بين جنود المأمون يسيرها الحسن بن سهل وبين جنود إبراهيم فاضطر الحسن بن سهل أن يرتد إلى واسط، وعندئذ نبّه علي الرضا المأمون للخطر المحدق به وأعلمه أن الخلافة توشك أن تفلت من يده، فأمر المأمون بانتقال بيت الخلافة إلى بغداد([2])، وفي الطريق إلى بغداد وُجد الفضل بن سهل قتيلاً في حمّامه([3])، وفي طوس مات علي الرضا فجأة([4])، ولما دنا قوّاد المأمون وجنوده من بغداد خرج إليهم قوّاد المدينة وزعماؤها يُظهرون ولاءهم وطاعتهم للمأمون، واختفى إبراهيم بن المهدي وغيره ممن خرجوا على المأمون([5]).

وكان دخول المأمون بغداد في صفر سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م بعد أن استنفذت جيوشه بغداد إلى طاعته([6])، ووافاه طاهر بن الحسين من الرقة، ثم لبس المأمون السواد شارة الخلفاء العباسيين بعد دخوله بغداد بتسعة وعشرين يوماً، وقيل بثمانية أيام([7])، وعفا عن الكثيرين ومنهم الفضل بن

---

[1]) ابن الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٤.

[2]) ابن الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص١١.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٠٠.

[4]) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان، ج٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٤ ص٢٦٩.

[5]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٠١.

[6]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٧٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص١٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٩٥.

[7]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص١٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥١٠.

الربيع وزير الأمين، كما عفا بعد سنوات عن إبراهيم بن المهدي([1])، ولما كان دخول المأمون بغداد بعد غياب احدى عشرة سنة فقد كان دخوله غريباً عنها وعن أهلها إلى حد ما، فواجهته مشاكل أهمها:

- العلاقات الفاترة بين سكان بغداد من البيت العباسي والأهالي وبينه
- قلة دخل الدول
- قلة الجيوش المعتمد عليها وكثرة الانتفاضات الاقليمية والمذهبية.

ولذلك اعتمد في أول الأمر على التسويات، إذ بعد مقتل الفضل بن سهل لم يعد الحسن بن سهل ذا نفوذ وخاصةً بعد أن تجرأ عليه أهل بغداد وبعد أن أصيب عند معرفته بمقتل أخيه بانهيار عصبي، وإذا استثنينا ظهوره وأخبار كرمه في حفلات زواج ابنته بوران بالمأمون، فإنه استمر مطفياً إلى أن وافته المنية سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م ([2])، فاعتمد المأمون على الطاهريين كما اعتمد بعد مدة كذلك على أخيه أبي اسحق (الذي عرف بالمعتصم لاحقاً) فاستدعى المأمون طاهر بن الحسين من الرقة وولاه الشرطة بجانبي بغداد ومعاون السواد، أي مسؤولاً عن خراج السواد([3])، وسكن طاهر بغداد حتى نهاية سنة ٢٠٥هـ/٨٢١م فكان عاملاً مهماً في إقناع المأمون بترك الخضرة ولبس السواد لباس العباسيين التقليدي ومهّد لرضا المأمون عن الفضل بن الربيع وإعادة الكثيرين من رجال محمد الأمين إلى الديوان([4])، وفي نهاية سنة ٢٠٥هـ/٨٢١م

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٨٤.

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص١٨٤. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٤١.

[3])ابن المحبر، ص٣٧٥. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٧٧. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٤٥.

[4]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٧٥.

عيّنه المأمون والياً على خراسان فوصل إليها في ربيع الثاني سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م فحكمها ١٤ شهراً قطع في آخرها الخطبة للمأمون، ومات بعدها بقليل([1]) .

فولى المأمون أخاه طلحة وسيّره إلى خراسان، وبعد موت طلحة استعمل المأمون عبد الله بن طاهر بن عبد الله مكانه([2])، وكانت تولية الطاهريين خراسان حلاً موفقاً لحكمها إذ أضحى الطاهريون يرسلون أموالاً غير قليلة إلى بغداد، وربما كانت تزيد عما كان الخلفاء يحصلون عليه من خراسان عندما كانت تحت حكم بغداد مباشرة، وفي الوقت نفسه ظلت خراسان مسالمة لم يحصل بها أي شغب حتى وفاة المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م وساعد على الهدوء علاقات طاهر والطاهريين بأهل خراسان وضعف الأبناء (وهم خراسانيو الأصل بغداديو المولد) في بغداد بعد انتهاء الحرب بين الأمين والمأمون وكان عفو المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي قد ساعد على توطيد علاقته ببغداد([3]).

وكان نصر بن شبث في الجزيرة قد أعلن ثورته مدعياً أنه خرج محاماةً عن العرب لأن المأمون قدّم عليهم العجم، وجبى الخراج ، فسعى المأمون بعد وصوله إلى بغداد إلى إخماد ثورة نصر بالصلح، فوجّه إليه عبد الله بن طاهر فحاصره وضيّق عليه، فاضطر نصر لطلب الأمان وذهب إلى بغداد خاضعاً للخليفة وهدأت الجزيرة([4]).

---

[1]) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٤٤. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٢٧٥.

[2]) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٢٧٥.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٤١٤.

[4]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٩٨ مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٤١.

وفي هذه الأثناء كان يبرز المعتصم كقائد لدى إبراهيم بن المهدي أولاً وأخذ يشتري المزيد من الأتراك، فما إن انتهى عصر المأمون حتى كان للمعتصم ما يقارب أربعة آلاف جندي، وكانوا مدربين تدريباً دقيقاً([1]).

وعندما دخل المأمون بغداد لم تكن الحالة الاقتصادية مرضية، فقد كانت الشام ومصر مسرحاً للفتن والقلاقل، وكانت خارجتين عن سلطة الدولة ولم تكونا توردان شيئاً لبغداد، كما أن دخل السواد قد قل بسبب الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون وارتفعت الأسعار سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م فعمل المأمون على إسقاط بعض الخراج عن السواد، وأسقطه عن بعض الجهات التي مرّ بها في طريقه من مرو لبغداد، فأمن الدخل منها للخلافة وبدأ الدخل يأتيه من الشام والجزيرة بعد أن أنهى أمر نصر بن شبث في الجزيرة، وبعد أن أجاب المتغلبون في الشام والجزيرة ومصر تحسنت الجبايات حتى أن المأمون عندما وصل إلى دمشق سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م وقلّ المال عنده طلب من أخيه المعتصم مالاً، فلم يمضِ أسبوع حتى وافاه بثلاثين ألف مليون درهم.

وواجهت المأمون ثورة بابك الخرمي وقد خرج في جهات البند من أذربيجان حيث كانت تكثر معادن الذهب والرصاص والحديد والزئبق والزرنيخ وغيرها، وقد هزم بابك أربع حملات تابعة للمأمون، وكان من أسباب ذلك قلة جيوش الخلافة التي يعتمد عليها وقلة المال ووعورة الجبال التي كان يتحصن بها بابك التي لم يكن العرب يحسنون الحرب فيها([2])، وبعد أن قتل بابك القائد محمد بن حميد الطوسي بالحملة سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م في ممر هشتادسر، في قلب

---

[1]) اليعقوبي، احمد بن اسحق(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢ ص٢٥٦.

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٥٥٦. مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٣٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٨٥.

منطقة بابك([1])، توقفت حملات المأمون وبقي بابك يحكم إلى أن قضى عليه المعتصم في خلافته، وكذلك استمر الزط يعيثون في شواطئ الخليج فساداً إلى أن قضى عليهم المعتصم في خلافته([2]).

وفي السنوت ٢١٢-٢١٤هـ/٨٢٧-٨٢٨م كان قد تغير مجرى الأحداث فقد خضعت الشام والجزيرة ومصر لحكم الخلافة، وكان المأمون قد سلّم بالأمر الواقع في افريقية وأذربيجان.

وفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م ولي عبد الله بن طاهر خراسان وولي مكانه في الشام ومصر أخو الخليفة المعتصم، وصارت الخلافة العباسية تحت سلطة المعتصم والطاهريين تابعين للخليفة([3])، فانصرف المأمون إلى أمرين أولاً أنه تفرغ للعلوم العقلية ، وثانياً قاد عدة حملات ضد البيزنطيين، ففي سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م دعا المأمون إلى الاعتزال وأظهر القول بخلق القرآن، ولما كادت تحص فتنة كفّ عن ذلك إلى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م السنة التي توفي فيها([4]).

وفي سنة ٢١٥هـ سار المأمون إلى غزو البيزنطيين ثم عاد لدمشق وبعدها توجه لمصر فكان أول من دخلها من خلفاء بني العباس، وفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م امتحن الناس بالقول بخلق القرآن، وتوفي في السنة ٢١٨هـ/٨٣٣م فنقله أخوه المعتصم وابنه العباس إلى طرسوس فدفن فيها([5])،

ويُذكر أن ميتة المأمون كانت مشابه لميتة علي الرضا، فعلي الرضا أفرط بأكل العنب فمات (من غير حمى)،المأمون أفرط بأكل الرطب فمات من الحمى، وكلاهما دفن خارج بغداد.

---

[1]) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٠، ص٢٦٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٦٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٣٦٥.

[2]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٦، ص٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١١.

[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦١٣.

[4]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٨.

[55]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٦٣١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص٢٥.

الفصل الثاني (أهل الذمة – الطوائف والأديرة والتنظيمات)

التعريف بأهل الذمة

الذمة لغةً: ذمم الذال والميم في المضاعف أصل واحد يدل كله على خلاف الحمد، يُقال ذممت فلاناً أذمّه، فهو ذميم ومذموم، إذا كان غير حميد، ومن هذا الباب الذمّة، هي البيئة القليلة الماء، وجمع الذمة ذمام([1])، والذم نقيض المدح، وأذمّ به أي تهاون، والمذمة هي الملامة([2])، والذمة بالكسر: والعهد والكفالة كالذمامة وجمعها ذمام([3])، والذمام كل حركة تلزمك إذا ضيعتها المذمّة، ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمّة، ورجل ذمّي معناه رجل له عهد، والذمّة العهد منسوب إلى الذمّة، قال الجوهري: الذمة أهل العقد، قال أبو عبيد الذمة الأمان في قوله صلى الله عليه وسلم : «يسعى بذمتهم أدناهم»، وسمي أهل الذمة (ذمة) لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، ويقال أهل الذمة لأنهم أدّوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم([4]).

الذمة اصطلاحاً: ترد الذمة في الناحية الاصطلاحية بمعنيين

---

[1]) ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، ج٢، ط١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩١ ص٣٤٥..

[2]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، ج١٢، دار صادر، بيروت ١٩٩٤ ص٢٢٠.

[3]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٢١. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط، ج٤، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ ص١١٤.

[4])ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٢١. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٣٤٦. ١٣١–الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م) مختار الصحاح، ط٥، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت١٩٩٩ ص١١٣.

أولاً: معنى يصير به الانسان أهلاً لثبوت الحق له أو عليه، بمعنى أنه أصبح مكلفاً ، فيقال ثبت في ذمتي أي على نفسي، أو أعطيته الذمة، أي عاهدته على أن يكون له وعليه ما لي من حقوق وما عليه من التزامات([1]).

ثانياً: بمعنى العهد الذي يعطاه أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، ويعتبرون به من رعايا الدولة الإسلامية([2])، وقد أطلق الفقهاء ألفاظاً واستعمالات متعددة لهذا المصطلح (ذمة)، ولكن القصد من المعنى واحد، فحملت الذمة معنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين، ومنه الحديث يسعى بذمتهم أدناهم([3]).

وفي حديث على ذمتي رهينة وأنا به زعيم، أي ضماني وعهدي رهن في الوفاء به، ومنه ما يذهب عني مذمة الرضاع؟ والمراد بمذمة هنا: الحق اللازم بسبب الرضاع([4])، كما ورد في القرآن الكريم مصطلح (ذمة)، بمعنى العهد أيضاً فقال تعالى: (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) ([5])، وقوله تعالى: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) ([6])، والإل

---

[1]) أحمد عطيه، القاموس الإسلامي، ج٢، ص٤٤٠.

[2]) قلعجي، محمد رواس، موسوعة عمر بن الخطاب، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨ ص٤٠٦.

[3]) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م) النهاية في غريب الحديث والأثر، ط١، ج٢، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٧٩ ص١٦٨. الجبوري، عبد الله محمد، فقه الإمام الأوزاعي، ج٢، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧ ص٥٢٣.

[4]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص١٦٩.

[5]) سورة التوبة، آية ٨.

[6]) سورة التوبة، آية ١٠.

القرابة([1])، أطلقت هذه التسمية بما تحمله من معنى العهد والأمان على أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، ثم على من جرى مجراهم من المجوس والصابئة والسامرة([2])، فأصبح هؤلاء جميعاً في ذمة المسلمين وعهدهم وأمانهم، وهذا عن طريق عقد صلح يتم بين الطرفين يسمى عقد الذمة، ولا يصح إلا من الإمام أو نائبه([3])، فالعهد القائم بين المسلمين وبين من اصطلح على تسميتهم أهل الذمة؛ جاء نتيجة الوضع الذي طرأ بعد ظهور الدين الإسلامي، حيث ووجه بالرفض والإنكار من قبل المجتمع الذي ضمّ المشركين وأهل الكتاب، وقد علّل أحمد زيدان في كتابه الدعوة الإسلامية كيف ظلت نفوس هؤلاء منطوية على كراهة الإسلام والمسلمين، وظلت تحمل الحقد عليهم والبغض لهم([4]).

وقد جاءت العديد من الآيات تؤكد هذا البغض والرفض للدين الجديد، قال تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) ([5])، وأيضاً قوله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ([6])، وكذلك قوله تعالى : (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ) ([7])، وبما أن الله أراد للدين

---

[1]) الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) معجم ديوان الأدب، ج٤، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣ ص١٥٥.

[2]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ ص١٨٣. أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الأحكام السلطانية، ط٢، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٦ ص١٥٣.

[3]) الجبوري، فقه الإمام الأوزاعي، ج٢، ص٥٢٣.

[4]) زيدان، أحمد، الدعوة الإسلامية، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥ ص٥٠.

[5]) سورة البقرة، آية ١٠٩.

[6]) سورة البقرة، آية ١٢٠.

[7]) سورة آل عمران، آية ٦٩.

الإسلامي أن ينتشر وأصبح لزاماً على الناس الإيمان به والاعتقاد بكل ما جاء فيه، كان لا بد من التنظيم الذي من خلاله سوف تحدد المواقف والاتجاهات لكل فئة من فئات المجتمع بدون إحداث خلل يؤذي المصلحة العامة؛ فالهدف الحقيقي للإسلام هو جذب الناس لما فيه مصلحتهم.

ولهذا أرسل الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام بين الناس كافة بالعقل والحجة والمنطق السليم دون اللجوء إلى أسلوب العنف أو القسوة أو حتى إكراههم على تغيير ما هم عليه من دين، لما جاء في قوله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ([1]).

ويشير سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن الكريم بأن الإسلام بوصفه دين الحق الوحيد القائم في الأرض لا بد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من وجهه، ولتحرير الإنسان من الدينونة بغير حق، على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار بلا إكراه منه ولا من تلك العوائق المادية كذلك، وإذاً فإن الوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية هي عدم الإكراه على اعتناق الإسلام وفي الوقت نفسه هي كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق حتى تستسلم وتعلن استسلامها([2])، وهنا نستطيع القول أن حقيقة ظهور الدين الإسلامي برزت في الوقت الذي تعددت فيه الاعتقادات الأخرى، وقد روعي في هذا الجانب أمرين:

١ – تقدير مسألة صعوبة الاقتناع بتقبل الدين الجديد من المجتمع.

٢ – حرص الإسلام على عدم الإكراه في تحويلهم من اعتقاداتهم وعباداتهم إلى الدين الجديد (الإسلام).

---

[1]) سورة البقرة، آية ٢٥٦..

[2]) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج٣، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢ ص١٦٣٣.

فمن لم يدخل في الإسلام من أهل الكتاب كان يجري عليه عقد الذمة، الذي تندرج تحته شروط فيها من الحقوق والواجبات مما يتم الاتفاق عليه([1])، ومن أهم هذه الشروط دفع الجزية([2])، ومن يُخل بها يعتبر ناقضاً للعهد (عقد الذمة) ([3]).

وقد فرضت الجزية في سنة ٨هـ/٦٢٩م([4]) حينما نزلت الآية التي تحرّض على قتال أهل الكتاب (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) ([5]).

والغاية من الجزية تكمن في أمرين: الأول: فهي عقوبة وعوضاً عن حقن الدم وأجرةً على سكنى الدار([6])، والثاني: ما يظهره النص القرآني (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) من التعبير عن ذلهم في عملية الأداء، حتى تبقى القوة والسيطرة للسلطة المسلمة لا لأهل الذمة، وحتى يشعرون بتلك السيطرة في الجوانب الأخرى من حياتهم، ذلك لأنهم أصروا على بقائهم على ما هم عليه من الدين([7])، فكانت الجزية تنبيه لهم لأية محاولة تصدر منهم في

---

[1]) ومن هذه الشروط يمنع الذمي من إطالة بنائه على بناء جاره المسلم، ويمنع الذمي من إحداث كنيسة أو دير، مع إجازة ترميم التالف منها، ويمنع من إحداث مكان للاجتماع فيه، ويمنع من إظهار العبادة كرفع أصوات النواقيس، كما يمنع من إظهار عادته كشرب الخمر، أو إظهار خنزير ويمنع من ركوب الخيل. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٥٨-١٦٠.

([2]الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٥٢. أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص١٨١. وقد أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس. ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥١م) أحكام أهل الذمة، ج١، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العارودي، دار ابن حزم ١٩٩٧ ص٧٩.

[3]) ابن سلّام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ/٨٢٨م) الأموال، ط١، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨١ ص٢٠.

[4]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٩.

[5]) سورة التوبة، آية ٢٩.

[6]) البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، كتاب الفتاوى، راجعه وحقق نصوصه عبد المجيد سليم، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٤٩ ص٥٥٦

[7]) البعلي، كتاب الفتاوى، ص٥٥٧.

عدوان أو شغب، وهذا ما أدركه المسلمون، فهذا معقل بن قيس يكتب إلى علي بن أبي طالب قائلاً: (وأما النصارى فإنا سبيناهم وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من أهل الذمة، لكي لا يمنعوا الجزية، ولكي لا يجترئوا على قتال أهل القبلة وهم أهل الصغار والذل) ([1]) ومقابل دفعهم للجزية كانوا يُمنحون حقوقاً تتمثل في :

حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من قبل المسلمين، ولهم ما شرطوه لأنفسهم في عقد الذمة، ولهم الحق بالمحافظة على عقائدهم الدينية، ولهم الحق بممارسة عاداتهم التي لا تتعارض مع آداب الإسلام([2]).

وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل الذمة: وأول من أعطى الجزية أهل نجران وكانوا نصارى([3]) ، كما أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً([4])، ثم أدّاها أهل أيلة وأهل أذرح([5])، ثم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فأسر رئيسهم أكيدر وأخذ الجزية([6])، كما أرسل الرسول معاذ بن جبل إلى اليمن لأخذ الجزية، فقال معاذ : (بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فأمرني أن

---

[1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٢٨.

[2]) القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط١، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٧٧ ص٩-٢٥.

[3]) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٤هـ/٨٨٧م) سنن أبي داود، ط١، ج٢، تحقيق عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ ص٣٧٥. قدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة البغدادي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق ١٩٨١ ص٢٢٤.

[4]) ابن سلّام، الأموال، ص٢٠.

[5])ابن سلّام، الأموال، ص٢٠. قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٢٥.

[6]) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) السيرة النبوية، ج٤، قدم لها وعلّق عليها عبد الرؤوف طه، دار الجيل، بيروت د . ت) ص١٢٥-١٢٦. العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ريوري شالاب وارانسي، الهند، ١٩٨٢ ص٣٨٧.

آخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافرياً) ([1])، كما أخذت الجزية من الصابئة ([2])، وعن عب الرحمن بن عوف : (أن النبي أخذ الجزية من مجوس هجر) ([3]).

والجزية ساقطة عن النساء والصبيان والعبيد والزمنى (المرضى ذوي العاهات المستديمة) والرهبان والشيوخ وإنما تجب على كل حالم ديناراً) ([4]).

وتؤخذ في السنة مرة واحدة([5])، ولم يكن يكلف أهل الذمة بأكثر من طاقتهم، حيث روعي الوضع المادي لفئاتهم من الفقير إلى الأوسط فالغني، وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمهم في هذا الجانب فقال: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) ([6])، وقد سار الخلفاء على منهجه عليه السلام، فأخذوا أهل الذمة بالرأفة، وثمة دليل آخر على ذلك: وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: (أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم) ([7]).

لقد كان النصارى العرب جزء لا يتجزأ من الأمة العربية فقد كانوا قبل ظهور الإسلام منتشرين في أصقاع مختلفة من الجزيرة العربية والعراق وبادية الشام فدان بالنصرانية عدة قبائل عربية جزيلة العدد ورفيعة المقام كبني كلب وتنوخ وقبيلة جذام وتغلب وبكر وتميم وكندة والغساسنة والعباد وغيرهم، وقام منهم شعراء فطاحل وبرز فيهم أساقفة عظام وكانت الحياة المسيحية

---

[1]) السجستاني، سنن أبي داود، ج٢، ص٣٧٥.

[2]) ابن سلّام، الأموال، ص٢١.

[3]) ابن حنبل، أحمد ت٢٤١هـ/٨٥٥م) المسند، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، ط١، ج٢، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٥ ص٣٠٣.

[4] ابن سلّام، الأموال، ص٢١. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨٣. قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٢٥.

[5] قدامة بن جعفر، الخراج، ص٢٢٥. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٨٥.

[6] السجستاني، سنن أبي داود، ج٢، ص٣٧٩

[7] البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) صحيح البخاري، رتب كتبه وأبوابه وفقاً للمعجم المفهرس محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار ابن أبي الأرقم للطباعة، بيروت ١٩٩٥ ص٦٦٨.

عندهم زاخرة بالتقوى والصلاة بدليل قيام جماعات الرهبانية ليس من الرجال فحسب بل من النساء أيضاً في أديرة نسائية أشهرها دير هند الصغرى ودير هند الكبرى في العراق.([1])

يضاف إلى ذلك أن قدوم العرب المسلمين إلى بلاد الرافدين كان له أكبر الأثر في تغيير الحياة الفكرية لدى العرب المسيحيين إذ أحدث توسعاً وتمازجاً ثقافياً وحركة علمية جديدة من تزاوج الأفكار مما جعل سكان العراق يقبلون على دراسة اللغة العربية وآدابها وعلى المراجع الإسلامية و القرآن الكريم والحديث الشريف فأنشئت مدارس تركت بدورها نتائج عظيمة انعكست على المسلمين والنصارى على حد سواء إذ برز العديد من العلماء واشتغلوا العربية على مستوى رفيع حتى لمعت أسماء كثيرين منهم في كتب التاريخ([2]).

ذكر جورجي زيدان أن لأهل الذمة تمدن قديم وهم في ذلك تلامذة اليونان لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبعهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم كما تعلمها المسلمون بعدهم وهم أهل ذكاء ونشاط، فكانوا كلما اطمأنت قلوبهم وخواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا إلى الاشتغال بالعلم([3]).

أقبل النصارى بعد الفتح الإسلامي للعراق على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها وأخذوا يصوغون أفكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم والتقاليد العربية والفكر الإسلامي فأصبحت اللغة الحضارية السائدة في العراق هي العربية ولذلك فإن الشعوب المحكومة – من فرس وسريان –

---

[1]) الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) الأغاني، ط١، ج٢، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥ ص٣٣. العمري، أحمد بن يحيى ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠ ص٣٧٧.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٣٤١.

[3]) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، مكتب الحياة، بيروت د.ت ص٣٤١.

فقدت ذاتيتها اللغوية وقد أخذ العرب من ثقافات البلاد المفتوحة ما يتلاءم ودينهم الإسلامي وتقاليدهم العربية فأخذوا من اليونان مثلاً عن طريق الترجمات والفلسفة والطب واقتبسوا قليلاً من الثقافة الهندية وتأثروا بالتقاليد الفارسية ونظام الحكم ونظام الطبقات في الحياة السياسية والاجتماعية فيقول الجاحظ : وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً ([١]) إن إقبال النصارى على تعلم اللغة العربية إنما كان للتقرب من الفاتحين ولتبوء المناصب وليس بسبب الإكراه أو الإجبار كما ذهب بعض المستشرقين فإن غلبة اللغة العربية كان بالاختبار لا بسلطان الحكومة، وإن تسامح العرب أدي إلى انتشار العربية فدرس حنين بن اسحق خمسة عشر كتاباً من كتب الخليل بن أحمد الفراهيدي([٢]) ، وسيبويه([٣]) ، حتى أصبح حجة في العربية وتتلمذ يحيى بن عدي في المنطق على يد الفارابي([٤]) حتى أصبح أفقه رجال عصره ودرس ثابت بن قرة على يد محمد بن موسى وتلقن بن جذلة علومه على يد بن الوليد من رجال المعتزلة.([٥]).

---

[١]) الجاحظ، عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) الحيوان، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥ ص٥٣.

[٢]) الخليل بن أحمد سيد أهل الادب قاطبة في علمه وهو الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. هو أول من استخرج العروض. علم سيبويه والأصمعي وغيرهما من أئمة العربيّة (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٤.

[٣]) سيبويه عمرو بن عثمان، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو (ت١٨٠هـ/٧٩٦م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٦٣.

[٤]) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) أديب غزير مادة العلم، من أهل فاراب انتقل إلى اليمن، وأقام في زبيد، وصنف كتاباً سماه ديوان الأدب عرّفه بقوله وهو ميزان اللغة ومعيار الكلام. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الأدباء، ط١، ج٢، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣ ص٦١٨.

[٥]) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١ ص١٨٥-١٨٩.

لقد شارك النصارى في العصر العباسي في نواحي الحياة المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والعلمية، وفي المهن بصفة عامة ودونما تمييز، ودخلوا وظائف الدولة واستقبلوا بالاحترام في بلاط الخلفاء، كما اعترف لهم بقانونهم الديني، ورؤسائهم الروحيين بل إن المجوس كانت لهم مكانة محترمة، وكان لهم كاليهود والنصارى رئيس يمثلهم في قصر الخلافة، وعند الحكومة([1]) وحفلت فترة الخلافة العباسية بتلك الكثرة من العلماء على مختلف ألوانهم ويعزو الدارسون ذلك إلى أن من ولى خلافة بغداد في تلك الفترة كانوا من الخلفاء العلماء، فرغبوا في العلم وأحسنوا وفادة أهله وشجعوهم عليه، فانتعشت بغداد بمن فيها وبمن وفد إليها، وأصبحت ميدانا لحركة علمية فكرية واسعة([2]) ويكتب لهذه الحركة: أن تبلغ أوجها على يدي المأمون، ويكون المأمون نفسه على رأس تلك الحركة عالما يشارك العلماء الرأي، ويأخذ معهم في الحديث ويسود العصر لون من التسامح الفكري يشجع العلماء والمفكرون في ظله على القول، فكان لذلك أثره الكبير في ظهور الفرق الكلامية، واحتدام الجدل بينها ولقد كان أكثر الخلفاء تسامحا المأمون فظهر في هذا العصر نفر من جلة العلماء ورؤوس المتكلمين أوغلوا في البحث معتمدين على العقل، مخالفين بما يقولون ما عليه علماء المسلمين ([3]).

---

[1]) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط١، ج١، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٩ ص٧٦.

[2]) حاشية في مقدمة كتاب المعارف ، إجمال عن الحياة العلمية في العهد العباسي ، ص ٥١

[3]) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٢٥. جورجي زيدان، الأمين والمأمون ، ط١، مطابع دار الهلال ، القاهرة، د.ت. ص٢٧٠.

طوائف أهل الذمة الذين ساهموا في تطور الحياة العلمية

إن أهل الذمة الذين شاركوا في الحياة العلمية لم يكونوا من طائفة واحدة فالعراق والشام عرفا بتعدد طوائفهما ومذاهبهما وأهم هذه الطوائف:

١- الموارنة وهم من جملة الطوائف النصرانية الموجودة في بلاد الشرق من أصل سرياني ويسكنون في الجهات الغربية من بلاد الشام ولا سيما جبل لبنان، وهي طائفة كاثوليكية خاضعة لرئاسة الحبر الروماني رأس الكنيسة الكاثوليكية، ويبدو أنه ومنذ القرن السابع الميلادي أصبحوا طائفة منفردة وجماعة خاصة بذاتها([١]).

واسم الموارنة مشتق من اسم رجل كان اسمه مارون والذي يدعي الموارنة أنه أول بطريرك لطائفتهم وعاش في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلاديين، وقد تمسك الموارنة بعقيدة الطبيعتين ([٢])، ويذكر المؤرخ التلمحري أن الموارنة بدأوا يقيمون بطريركاً من ديرهم حوالي ٧٠٢م وأول بطاركتهم يوحنا مارون([٣]).

٢- الملكانية قال الشهرستاني عنهم:(أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون

---

[١]) غريغوريوس، جرجس شاهين، نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القويم، ج١، مطبعة صبرا، بيروت ١٩١١ ص١١٠.

[٢]) غريغوريوس، نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القويم، ج١، ص١١٢.

[٣]) التلمحري، البطريرك ديونيسيوس، رحلات البطريرك ديونيسيوس في عهد الخليفتن المأمون والمعتصم، ترجمة تيسير خلف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠١٤ ص١١٢.

بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح([1]).

٣- اليعاقبة وهم السريان الأرثوذكس وقد أطلق عليهم هذه التسمية أعداءهم من الطوائف الأخرى، ونسبتهم إلى القديس المجاهد مار يعقوب البرادعي (ت٥٧٨م)، وهذا القديس كان مجاهداً كبيراً قاوم الخلقدونيين أشد مقاومة ولكي يسيء أعداء الكنيسة السريانية إليها بدأوا ينعتوها باليعقوبية لئلا تحسب مع الكنائس الرسولية([2]).

٤- النسطورية وقد قال عنهم الشهرستاني أنهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة. قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم([3]).

ومهما تعددت المذاهب والمعتقدات والفرق فإنهم يرجعون إلى أصل واحد وجنس واحد ولغة واحدة ودم واحد وفكر واحد ساهم في نقل الحضارة الانسانية في مختلف المجالات، وخاصة في العصر العباسي حيث ظهرت هذه الحركة بهمتهم وعلى أكتافهم، وهناك حقيقة يجمع عليها

[1]) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، ط١، ج٢. مؤسسة الحلبي، ص٢٧.

[2]) غريغوريوس، نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القويم، ج١، ص١١٣.

[3]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٢٩.

أصحاب الاختصاص من شرقيين وغربيين أن هذه الطوائف المذكورة تنتمي إلى أصل سرياني واحد بدليل موطنها الجغرافي وثقافتها ولغتها السريانية وعاداتها وتقاليدها([1]).

ولقد حظي السريان بالثقة والاحترام وأحسن العرب معاملتهم بعد الفتح الاسلامي فاطمأنت خواطرهم واستقرت أقدامهم في البلاد ونالوا حظوة في عيون الخلفاء ولا سيما أيام العباسيين وازدهرت مدارسهم في نصيبين وترجموا للخلفاء عدة مؤلفات نافعة من اليونانية للعربية([2]).

وقد ذكر أحد المؤرخين أن آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد (ت١٣٢هـ/٧٥٠م) لدى ارتحاله إلى حران ببلاد ما بين النهرين خف لاستقباله ايوانيس الرابع بطريرك السريان (٧٤٠-٧٥٥م) في هدايا وافرة وتحف نفيسة حملها خمسون جملاً فرحب به الخليفة ترحيباً جميلاً وكتب له فرماناً سنة (١٢٨هـ/٧٤٦م) خوله بموجبه الولاية على جميع الشؤون المسيحية، وهو أول فرمان أعطي لبطريرك سرياني من خليفة المسلمين باعتبار أن الاسلام يعتبر هؤلاء أهل ذمة، وذكر أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر قائلاً:" وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب، فمنهم من قال: أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء، واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبوه" ([3]).

---

[1]) روفائيل، تاريخ نصارى العراق، ص٩٠.

[2]) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط١، ج١، القاهرة ١٩٦١ ص١٣٠-١٣١.

[3]) أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، ط١ ، ج١، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٩٠ ص٨٩

لقد نقل أهل الذمة الفلسفة اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية، وما زال كتب الغرب يعلنون من وقت لآخر في المؤلفات الجليلة التي يبرزونها إلى عالم الأدب فضل أهل الذمة في نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية، وينوهون بخدماتهم الكثيرة التي قاموا بها نحو العالم والمدنية، من ذلك أن المستشرق أوليري أفرد فصلاً في كتابه (علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب) للبحث في فضل أهل الذمة في نقل الفلسفة اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية([1]).

ولا بد حتى تكتمل الصورة من ذكر بعض المراكز والأديرة التي انتشرت في الدولة العباسية من كل حدب وصوب، والتي استمرت حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وبعدها بقليل وكانت هذه المراكز منارة للعلم والمعرفة فتخرج منها عدد كبير من العلماء، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الأديرة التي سنأتي على ذكرها جاءت في مصدرين من مصادر الفترة العباسية وهما ١- الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) في كتابه الديارات، ٢- الشابشتي (٣٨٨هـ/٩٩٨م) أيضاً في كتابه الديارات، وأهم هذه الأديرة هي :

في بغداد

دير العلث: وسمي بذلك نسبةً للعلث وهي قرية على شاطئ دجلة، في الجانب الشرقي منها، وبين يديها من دجلة موضع صعب، ضيق المجاز، كبير الحجارة، شديد الجرية، تجتاز فيه السفن بمشقة، وهذه المواضع تسمى الأبواب([2]).

دير درمالس: هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار المعزية، وهو نزه كثير الأشجار والبساتين، بقربه أجمة قصب، وهو كبير آهل معمور بالقصف والتنزه والشرب([3]).

---

[1]) أ وليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ ٥٨.

[2]) الشابشتي، الديارات، ص٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٩.

[3]) الشابشتي، الديارات، ص٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٩.

دير قنّى: ويعرف بدير مرماري السليخ، هو على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية، وهو في الجانب الشرقي معدود في أعمال النهروان، وبينه وبين دجلة ميل، وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية، ويقال له دير الأسكون أيضاً([1]).

دير الروم: وهو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة للنسطورية خاصة، وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها([2]).

دير سابر: قرب بغداد بين قرية يقال لها المزرفة وأخرى يقال لها الصالحية، وفي الجانب الغربي من دجلة قرية يقال لها بزوغى، وهي قرية عامرة نزهة كثيرة البساتين([3]).

دير الثعالب: دير مشهور، بينه وبين بغداد ميلان أو أقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر، عند باب الحديد وباب بنبرى([4]).

دير الجاثليق: دير قديم البناء رحب الفناء غربي دجلة، وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت([5]).

دير مديان: على نهر كرخايا قرب بغداد، وكرخايا: نهر يشق من المحول الكبير ويمر على العباسية ويشق الكرخ ويصب في دجلة([1]).

[1]) الأصفهاني، الديارات، ص١٩. الشابشتي، الديارات، ص٣٩٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٨.

[2]) الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١١. الدمشقي، شمس الدين محمد بن علي بن محمد (ت٧٥٣هـ/١٣٥٣م) البدور المسفرة في نعت الأديرة، حققه وقدم له هلال ناجي، دار الحرية، بغداد ١٩٧٥ ص٧.

[3]) الأصفهاني، الديارات، ص١٢٣. الشابشتي، الديارات، ص٥٤. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٣.

[4]) الأصفهاني، الديارات، ص٥٥. الشابشتي، الديارات، ص٥٤. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٢. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٥.

[5]) الأصفهاني، الديارات، ص٥٩. الشابشتي، الديارات، ص٢٨. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٣. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٧.

دير سمالو: في رقة الشماسية ببغداد مما يلي البردان، وينجز بين يديه نهر الخالص وهو نهر المهدي([2]).

دير أشموني: وأشموني، امرأة بني الدير على اسمها، ودفنت فيه، وهو بقطربل، غربي دجلة([3]).

دير مرجرجس: يقع على الجانب الغربي لدجلة في قرية المزرفة([4]).

دير قوطا: بالبردان من نواحي بغداد على شاطئ دجلة بين البردان وبغداد([5]).

دير باشهرا: وهذا الدير على شاطئ دجلة، بين سامراء وبغداد([6]).

دير الخوات: هذا الدير بعكبرا، وهو دير كبير ويقع على تسعة فراسخ من بغداد([7]).

دير العذارى: وهذا الدير أسفل الحظيرة، على شاطئ دجلة، وفيه تسكن الراهبات المتبتلات([8]).

---

[1]) الشابشتي، الديارات، ص٣٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٣.

[2]) الأصفهاني، الديارات، ص١٠٤. الشابشتي، الديارات، ص١٤. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٦. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٦.

[3]) الشابشتي، الديارات، ص٤٦. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٨. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٧.

[4]) الشابشتي، الديارات، ص٤٢٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٤. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٨.

[5]) الشابشتي، الديارات، ص٦٢. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٩. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢٤.

[6]) الشابشتي، الديارات، ص٨٠. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٩.

[7]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٠. الشابشتي، الديارات، ص٩٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٨.

[8]) الأصفهاني، الديارات، ص١٢١. الشابشتي، الديارات، ص١٠٧. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٢. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٩.

دير مريحنا: وهذا الدير إلى جانب تكريب، على دجلة، وهو كبير عامر كثير القلايات([1]) والرهبان([2]).

دير السوسي: وهذا الدير لطيف على شاطئ دجلة، بقرب القادسية([3]).

دير درزيجان: قرب بغداد، على دجلة، بالجانب الغربي منها([4]).

دير الزندورد: في الجانب الشرقي من بغداد([5]).

في الموصل

دير سعيد: بغربي الموصل قريب من دجلة حسن البناء واسع الفناء([6]).

دير ميخائيل: على نهر دجلة على ميل من الموصل([7]).

الدير الأعلى([8]).

دير يونس بن متى: وهذا الدير ينسب إلى النبي يونس بن ، وهو في الجانب الشرقي من الموصل، بينه وبين دجلة فرسخان، وموضعه يعرف بنينوى([9]).

---

[1]) القلايات جمع قلاية هي بناء في أعلى الدير يشبه المنارة يتخذها الراهب لساعات انفراده، وبابها في الغالب داخلي. الأصفهاني، الديارات، ص١٩.

[2]) الشابشتي، الديارات، ص١٧١. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٧.

[3]) الأصفهاني، الديارات، ص١٠٩. الشابشتي، الديارات، ص٤٩. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٨. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٩.

[4]) الأصفهاني، الديارات، ص٨٨.

[5]) الشابشتي، الديارات، ص٣٣٨. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٣. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٤.

[6]) الأصفهاني، الديارات، ص٨٩. الشابشتي، الديارات، ص٣٩. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٥.

[7]) ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢ ص٦٧.

[8]) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٦، ص٢٤٦.

[9]) الشابشتي، الديارات، ص١٨١. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢٣.

دير الشياطين: غرب دجلة قرب الموصل([1]).

دير مار ايليا([2]).

دير الخنافس: في الموصل كثير الرهبان، وتظهر فيه الخنافس في الليل لذا سمي كذلك([3]).

دير القيارة: يقع على أربعة فراسخ من الموصل([4]).

دير الكلب: يعالج فيه داء الكلب في الموصل([5]).

دير متى: شرق الموصل على جبل شاهق([6]).

دير باتوقا([7]).

في الحيرة

دير حنة الكبير([8])، دير زرارة([9])، ديارات الأساقف([10]).

دير هند من أعظم أديرة الحيرة وهو منسوب لهند بنت النعمان([11]).

---

[1]) الشابشتي، الديارات، ص١٨٤. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٨. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢٤.

[2]) الشابشتي، الديارات، ص١٣٩.

[3]) الشابشتي، الديارات، ص٣٠٠.

[4]) الشابشتي، الديارات، ص٣٠٢. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٩.

[5]) الأصفهاني، الديارات، ص١٩. الشابشتي، الديارات، ص٣٠١. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٠.

[6]) الشابشتي، الديارات، ص٢٦٥. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٢.

[7]) الشابشتي، الديارات، ص٣٣٣.

[8]) الأصفهاني، الديارات، ص٧٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٧.

[9]) الأصفهاني، الديارات، ص٩٤.

[10]) الشابشتي، الديارات، ص٢٣٦. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٨.

[11]) الشابشتي، الديارات، ص٢٢٤. الأصفهاني، الديارات، ص١٦٥. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤١. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢١.

دير مارت مريم([1])، دير عبد المسيح([2])، دير القس([3])، دير اللج([4])، دير المزعوق([5])، قباب الشكورة([6]).

في واسط

دير عمر سفر يشوع([7])، دير عمر كسكر([8])، دير العاقول: نحو واسط وليس أجمل منه موضعاً على ما قيل([9]).

في سامراء

دير مرماري عند قنطرة وصيف وهو كثير الرهبان([10]).

دير عبدون([11])، دير مرمار([12]).

في الكوفة

دير قرة([1])، دير الجماجم: وهو على الطريق السالك من البصرة إلى الكوفة([2]).

---

[1]) الأصفهاني، الديارات، ص١٤١. الشابشتي، الديارات، ص٣١٣.

[2]) الأصفهاني، الديارات، ص١١٦. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢١.

[3]) الأصفهاني، الديارات، ص١٣٤.

[4]) الأصفهاني، الديارات، ص١٣٩. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢١.

[5]) الشابشتي، الديارات، ص٢٣٠. الأصفهاني، الديارات، ص١٦١. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٧.

[6]) الأصفهاني، الديارات، ص١٤١.

[7]) الأصفهاني، الديارات، ص١٠٠.

[8]) التوحيدي، الرسالة البغدادية، ص٣١١. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٠. الشابشتي، الديارات، ص٢٦٥.

[9]) الشابشتي، الديارات، ص٢٧٤. التوحيدي، علي بن محمد (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م) الرسالة البغدادية، ط١، تحقيق عبود الشابحي، منشورات الجمل، المانيا ١٩٩٧ ص١٨٠.

[10]) الأصفهاني، الديارات، ص١٥٨. الشابشتي، الديارات، ص١٦٣. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢٠.

[11]) الشابشتي، الديارات، ص٢٧٠. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢١.

[12]) الشابشتي، الديارات، ص١٦٣.

دير سرجيس: وهو على طريق الكوفة إلى القادسية([٣]).

في الأنبار

دير مريانون: على نهر الفرات وهو كثير القلايات والرهبان([٤])، دير مريحنا([٥]).

في ديار بكر

دير احويشا: وبالسريانية تعني الحبيس وهو من ديار بكر([٦]).

في الرصافة

دير الرصافة([٧]).

هذا بالإضافة للعديد من الأديرة التي انتشرت في منطقة العراق والتي يصعب إحصاؤها لكثرتها، وتناثر المعلومات عنها في العديد من كتب الديارات التي تصل إلينا.

نظام الدير

تمتعت الأديرة بمواقع استراتيجية لا بأس بها، وقد اختيرت هذه المواقع في أماكن خاصة تتميز بالهدوء والسكينة، وأحياناً في أماكن جميلة تحيط بها الأراضي الزراعية والمياه الوافرة والكروم والبساتين، وبعضها يقوم على مجاري الأنهار، وثمة أمثلة لهذا الوصف نلتمسها من الأديرة التي ذكرها كل من الأصفهاني والشابشتي في كتابيهما الديارات.

---

[١]) الأصفهاني، الديارات، ص٣٣.

[٢]) الأصفهاني، الديارات، ص٦٤. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٣.

[٣]) الشابشتي، الديارات، ص٢٣٣.

[٤]) الشابشتي، الديارات، ص٢٥٨. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٣٧. النجفي، علي بن الحسين، تاريخ الأنبار، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١ ص٢٠.

[٥]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٣.

[٦]) الشابشتي، الديارات، ص١٩٩. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٧.

[٧]) الأصفهاني، الديارات، ص٨٩. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥١٠.

لقد كان موقع الدير سبباً في جلب العديد ممن الزوار والمتنزهين([1])، وقد كان هناك اهتمام بالدير حيث وفرت فيه مستلزمات عدة منها:

مخازن وبيوت للطعام([2])، وأيضاً دور ضيافة والتي خصصت لاستضافة الزوار والمارين بها، وهكذا أنشئت حجرات خاصة فوق القلالي والكنائس لهذا الغرض([3])، وكان يقدم النبيذ بناءً على رغبة الزوار وطلباتهم، وقد كان البعض يقصد الأديرة خصيصاً ليتناول الشراب فيها([4])، كما أنشئت فيها خزانة للكتب يتلقى فيها الرهبان العلم، ويتعهدها الرهبان بالمحافظة([5])، ولذا فقد نشأ العديد من الكتّاب داخل الأديرة مثل دير سعيد غرب الموصل، وكانت هناك بعض الأديرة مقصورة على النساء المترهبات والمتبتلات مثل دير الخوات بعكبرا([6]) ودير العذارى ببغداد([7])، ودير هند بالحيرة([8])، ودير حنة بالكوفة([9])، كما تقام في كل دير كنيسة، يصلي بها الديرانيون، وقلايات تضم داخلها الرهبان([10]).

---

[1]) بدري، محمد فهد، المجتمع العراقي ضمن كتاب حضارة العراق، ج٥، بغداد ١٩٨٥ ص ٥٦.

[2]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٣. الشابشتي، الديارات، ص٤٩.

[3]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٣.

[4]) الشابشتي، الديارات، ص٤٩.

[5]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٦.

[6]) الأصفهاني، الديارات، ص٢٠. الشابشتي، الديارات، ص٩٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٠٨.

[7]) الأصفهاني، الديارات، ص١٢١. الشابشتي، الديارات، ص١٠٧. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٢. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص١٩.

[8]) الشابشتي، الديارات، ص٢٢٤. الأصفهاني، الديارات، ص١٦٥. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٤١. الدمشقي، البدور المسفرة في نعت الأديرة، ص٢١.

[9]) الأصفهاني، الديارات، ص٧٣.

[10]) الشابشتي، الديارات، ص٤٩.

اليهود

هناك آراء عديدة حول المواطن الأصلية لليهود الذين توطنوا في أرض العراق([1])، وقد حفظ المجتمع الإسلامي لليهود حقوقهم وأعطاهم الأمان فعاشوا كالنصارى في سلام وتسامح مع عدم التهاون فيما يتوجب عليها([2])، أما المناطق التي كثر فيها اليهود فهي قصر هبيرة([3])، ومنطقة شرقي بابل([4])، وأكثرهم توطن حول نهري دجلة والفرات، وقد يكون سبب ذلك لأنهم مارسوا التجارة فكانت منطقة مجاري الأنهار تخدم مصلحتهم.

الصابئة

سكن الصابئة حول ضفاف الرافدين وخاصة المناطق السفلى من العراق فيما يدعى بالبطائح([5])، فتركزوا بين واسط والبصرة([6])، وكان حضورهم في واسط قبل الفتح الإسلامي، حيث أقاموا بدرب عرف بم يدعى (درب الصاغة) الكائن في غرب واسط، وهناك تأقلموا مع السكان الأصليين على مختلف طوائفهم، كما سكن الصابئة ميسان وذي قار، وسكنوا بغداد وكان عددهم كبيراً فيها، ونبغ منهم أعداد كبيرة من الأطباء والمترجمين([7])، أما عن تركز

---

[1]) غنيمة، رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط١، دار الوراق، لندن ١٩٩٠ ص٤٩-٥٠.

[2]) متز، الحضارة الإسلامية، ص٧٨.

[3]) المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١ ص١٢١.

[4]) غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص٥٠.

[5]) البطائح هي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٠.

[6]) الناشي، غضبان رومي، الصابئة، ط١، مطبعة الأمة، بغداد ١٩٨٣ ص١٤.

[7]) بدري، المجتمع العراقي، ج٥، ص٥٧.

وجودهم فكان في كل من منطقة الموصل([1]) والمدائن وبابل([2])، وسكنوا واسط إلا أن الكم الأكبر منهم وجد في شيراز ([3]).

المجوسية

نشير إلى أن المجوسية قد انتقلت من بلاد فارس إلى العراق عن طريق الاحتكاك ثم الاختلاط الذي جرى بين الفرس والعرب وبعدها كان انتشار المجوس في مدن العراق ومنها الحيرة([4]).

التنظيمات الدينية لأهل الذمة في العصر العباسي

إن كل طائفة من طوائف أهل الذمة قد كان لها مؤسسة تهتم بها وهي مؤسسة على الأغلب كانت بأطر دينية أو بأطر عرفية اجتماعية، فكما أن للمسلمين الخلافة كانت الجثلقة للنصارى، وللصابئة أيضاً رئيس يمثل طائفتهم، أما المجوس فكان لهم الموبذان.

أ- الجثلقة([5]): وهي منصب ديني يأتي في الدرجة الخامسة، وهي أعلى الدرجات التي ترتيبها: الشماسية، الأسقفية، القسائية، المطرانية، الجثلقة([6]) (الفطركة) ([7]).

---

[1]) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٢.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٨.

[3]) متز، الحضارة الإسلامية، ص٦٤.

[4]) الثعالبي، عبد العزيز، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥ ص٦٣.

[5]) الجاثليق لفظ يوناني المراد به الرئيس الديني عند الكلدانيين والنساطرة أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين. الشابشتي، الديارات، ص٢٨.

[6]) الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) تاريخ الأنطاكي، حققه ووضع فهارسه، عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، ١٩٩٠ ص٤٠٩.

[7]) البطريق بلغة أهل الشام والروم: هو القائد، معرب، وجمعه بطارقة. وفي حديث هرقل: فدخلنا عليه وعنده بطارقته من الروم. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢١.

أمـا النـاس الـذين يخلفـون الرسـل فهـم الأسـاقفة والمفـرد منهـا باليونانيـة (episkopos) أي المشرف ثم الشيوخ (القساوسة) ومفردها باليونانية (presbyteros) وهؤلاء الذين عيّنوا ورفعوا ليتولوا شؤون الكنائس التي أسسها الرسل، ثم الشماسية، ومفردها باليونانية (iakonos) أي الخادم لمساعدة القساوسة في عملهم([1]).

وكان يتم تعيين الجاثليق بقرار رسمي صادر عن خليفة المسلمين([2])، ويتم عن طريق الترشح أولاً ثم الانتخاب ثانياً، وقد أفسح هذا الاسلوب مجالاً كبيراً للتنافس بين ذوي المناصب الدينية الطامحين في كرسي الجثلقة، حيث أن منهم من كان يدفع الرشاوي ويتبع طرقاً ملتوية للتسلل والحصول على هذا الكرسي، وكان هناك صعوبة في أن يصل مثل هؤلاء إلى هذا المنصب الرفيع بأساليبهم هذه وسبب ذلك لأن المرشحين كانوا يخضعون لامتحان مباشر من قبل الخليفة، تدرس من خلاله كفاءة وشخصية وصفات هذا المرشح وصلاحيته لهذا المنصب([3]).

---

[1]) الحسن بن طلال، المسيحية في العالم العربي، ص٤٦.

[2]) انظر مثلا النص التالي الذي ورد في كتاب التذكرة الحمدونية: هذا كتاب أمر بإنشائه سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لعبد يشوع الجاثليق البطرك ؛ أما بعد، فالحمد لله العميم إحسانه، العظيم سلطانه، الواجب حمده، الغالب جنده، الكامل فضله، الشامل عدله، المعروف بغير رؤية تدركه ولا نظر، الخالق من غير رويّة يجيلها ولا فكر، العالم بالأشياء ما ظهر منها وما بطن، المتعالي عن التكييف ببعد الأوهام وغوص الفطن، الذي ابتدع المخلوقات على غير تمثيل واخترع المصنوعات بغير قياس اتّبعه ولا دليل، وأقام شواهد البيّنات على وحدانيّته، ومعجزات البراهين على عجائب حكمته، ما أيقنت معه العقول والبصائر، وشهدت له القلوب العارفة والضمائر، أنّه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا شارك في ملكه أحدا، ولا ولد فيكون مولودا، ولا ولد فيكون محدودا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا..........) ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) التذكرة الحمدونية، ج٣، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٧ ص٣٦٤-٣٦٥.

[3]) ماري بن سليمان، فطاركة، ص١٠٠-١٠٢.

وكان من أهم مهام الجاثليق تعيين المطارنة والأساقفة، وترفيع رؤساء الطوائف، ووضع القوانين والفرائض والأحكام الدينية، وترميم الأديرة والكنائس والبيع، وبقيت مؤسسة الجثلقة مزدهرة في العراق حتى سقوط العاصمة بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م فانتقل مقر الجاثليق إلى جوار الموصل في شمال العراق([1]).

ب – رأس الجالوت

إن ريش جالوتا هي لفظة آرامية تعني رأس الجالية، وعنها أخذ العرب لفظة رأس الجالوت، ومنذ أن استقر اليهود في العراق بعد سبي بابل كانوا يوكلون أمورهم لعميد يرجعون إليه في أمورهم والذي أصبح يُعرف فيما بعد برئيس الطائفة([2]).

وينتقل هذا المنصب بالوراثة بين رؤسائه، وذلك عن طريق منحه ختم الرئاسة على أبناء ملته كافة، ويكون هذا القرار صادراً عن الخليفة، وذلك ضمن مراسيم احتفالية كان يقوم اليهود وأبناء الرعية بالنهوض أمام رأس الجالوت وتحيته عند مروره، ومن خالف ذلك عوقب، ويحضر مراسيم التعيين الأمراء ورجال القصر، والنبلاء الذين يختارهم الخليفة، والذين بدروهم يؤدون التحية له في موكبه المشهود أمام الخليفة الذي يقوم بتسليمه كتاب العهد([3])، ويقيم رأس الجالوت في بغداد قريباً من مركز الخلافة([4]).

---

[1]) الحسن بن طلال، المسيحية في العالم العربي، ص٩٤.

[2]) التطيلي، بنيامين بن الرابي يونة (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٢ ص١٠٠.

[3]) التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص١٣٧–١٣٨.

[4]) فهمي، سعد، العامة في بغداد، ط١، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٥ ص١٩٩.

أما بالنسبة لأهم مهامه فهي ضم جماعته والحكم فيهم بقواعد ملته، كما يقوم بالنظر في أمور الأنكحة والطلاق عندهم، ويلزم أبناء ملته بلبس العمائم الصفر، وعليه أن يرتب طبقاتهم حسب مراتبهم([1]).

ج – رئيس الصابئة

أما الصابئة فكان أول من جلس على كرسي الرئاسة ثابت بن احويسا في عهد عبد الملك بن مروان الذي رأس أربعاً وعشرين سنة، ومنهم ثابت بن طيون ترأس ستة عشر سنة، وابن النديم في الفهرست يأتي على ذكر عدد منهم([2]).

إن ما سبق هو تعريف للذمة وأوضاعهم خلال الفترة الإسلامية ممثلةً بالعهدين الأموي والعباسي، وعرّجت أيضاً على تنظيماتهم ورؤسائهم كطوائف دينية أو كأقليات في المجتمع الإسلامي، وفي الفصل التالي سندرس أبرز هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم.

---

[1]) القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج١١، ط١ ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٧ ص٩٩-١٠٠.

[2]) ابن النديم، الفرست، ص٥٠٥.

الفصل الثالث : ترجمة أهل الذمة في عهد المأمون (الطرق وأسماء العلماء)

في هذا الفصل سنحاول التركيز على مفصلين هامين في هذه الأطروحة، وهما طريقة الترجمة حيث هناك طريقتان، الأولى الترجمة الحرفية والثانية ترجمة المعنى وحاولت قدر الإمكان أن أمايز بينهما، والمفصل الثاني يتحدث عن أبرز علماء أهل الذمة في عهد المأمون وأبرز ما ترجموه وكتبوه.

حين أفضت الخلافة إلى المأمون طلب من ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب فبعثوا إليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون وارسطو وبقراط وجالينوس وغيرهم، وأحضر لهم مهرة المترجمين فترجموا له([1])، وقد أخذ العرب في هذه الفترة بالاقتباس من العلوم وتبسطوا في المعارف وتهافتوا على الصنائع والفنون، وقد لابس النصارى إخوانهم العرب واختلطوا بهم وطفقوا يتسابقون في درس لغتهم والتفرغ لإتقانها والتضلع بها، ولم يكتشفوا بهذا كله بل أقبلوا على ترجمة الكتب اليونانية، وكانوا قد نقلوا علومهم إلى لسانهم وحفظوها ودرسوها في مدارسهم، أما ديارات رهبانهم فكانت حافلة بخزائن الكتب النفيسة المنقولة من عدة لغات، فهبّ النقلة يعرّبون هذه الأسفار، ولم يدعوا سفراً معروفاً في تلك الأزمنة إلا وعرّبوه وبثّوا نسخه في البلاد، فانصرف الناس إلى العلوم ونفقت أسواقها، فبنيت المدارس وشيّدت النوادي الأدبية وازدحمت المعاهد بالطلاب والمدرسين، وعلماء الآرامية يشدّون أزر قومهم ويحثونهم على هذه النهضة مؤسسين المكاتب لأبنائهم ناقلين علوم اليونان إلى لغتهم دائبين على تدريس تلاميذهم، نبغ منهم في أنواع

---

[1]) اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨ ص٩٨-٩٩.

الآداب والفنون عدة أدباء أحيوا معالم المعارف المتأصلة فيهم، وأوضحوا آثارها فذاع صيتها في الآفاق، وحدّث بفضلهم المشرق والمغرب معاً، إذ فاضت العلوم العقلية على اختلاف أنواعها وعربت المعارف اليونانية بجميع فروعها، ونشطت إليهم وانتشرت العلوم والفنون والآداب والصنائع على تباين مقاصدها، فغادر حينئذ أدباء الآرامية مدارس الأديرة وبارحوا مكاتب الكنائس وأقبلوا يدرسون اللغة العربية وتضلعوا فيها ونبغ منهم عدد من الأعلام عرّبوا الكتب وساسوا معاهد التهذيب والمستشفيات وحفلت خزائن الكتب بمصنفاتهم النفيسة([1]).

أما أهم أسماء الأسر الذين نشطوا في عمليات النقل في العصر العباسي فهم:

- **آل بختيشوع** : وهم من السريان النساطرة ، وأصلهم من جنديسابور، وقد نبغ منهم في الطب عدة أفراد أماثل لم يشق لهم غبار، أمهر أطباء زمانهم وخدموا خلفاء بني العباس نحو قرون ثلاث، كانوا فيها واسطة قلادة العلماء في الطب والفلسفة، وعنوان الفضل الوافر، ونالوا عند الخلفاء من الثقة والحظوة والكرامة والجاه ما لم ينله غيرهم من أقطاب العلم وشيوخ العرفان ([2]).

- **آل حنين** : أولهم حنين بن اسحاق العبادي ، ولا بد من الإقرار هنا أن كتب الأنساب والتراجم لم تحمل إلينا شيئاً عن هذه العائلة، ويبدو أن معرفتنا لها كانت من خلال العلماء الذين برزوا فيها، والذين سيأتي الحديث عنهم في هذا الفصل، ولكن علة ما يبدو أنها أسرة نصرانية كان مقرها الحيرة وذلك بدا من خلال تراجم العلماء.

---

[1]) زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي،ج٣، دار الهلال، القاهرة ١٩٠٠ ص١٥٨-١٥٩.

[2]) المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة ١٩٣٢ ص١٧٤.

وقد اختلف المترجمون في طريقة النقل ولكن على العموم فأنهم اتبعوا طريقتين هما:

- **الترجمة الحرفية** : ويمكن توضيح المقصود بهذه الطريقة من خلال ملاحظات التراجمة ومؤرخيها على ترجمة بعض الكتب إلى العربية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي حتى القرن الثامن الهجري/ السابع عشر الميلادي، فمثلاً يقول الكندي في هذا المقام في رسالته المدعوة ب(في صنعة الآلة المسماة ذات الخلق) : (سألت أيه الأخ المحمود أن أرسم لك الآلة التي ذكرها بطليموس في أوائل القرن الخامس من كتاب المجسطي عندما اشتبك عليك من وضعه إياها والعمل بها، ولم يؤت ذلك من خلل في وضعه، بل من صعابة نظم كلامه، مع إيضاح معانيه على المتولين لترجمة كتبه من اللسان اليوناني إلى العربي، لأن صعابة نظم كلامه صارت علة لعسر فهمه على المترجمين، فلما لحقهم من الخوف في استعمال ظنونهم في معاني ألفاظه من الزلل عن كنهها، لزموا النظم بعينه في نقله بالعربية، فسموا مكان كل لفظة ما تستحق من العربية على تواليها لم يغادروا، وخلوا من نظر فيما أخرجوا من كتبه ومكابدة استنباط معانيها، تخلصاً من الخطأ، وليس كل من ترجم من كتبه شيئاً أتى ذلك) (١)، وهناك نص آخر لابن النديم في كتابة في تعليقه على إحدى ترجمات الصابئة لكتابهم في الأسرار الخمسة يقول ابن النديم: (الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عفطيا غير فصيح بالعربية أو أراد بنقلها على هذا التقبيح والرداءة الصدق عنهم والتحري لألفاظهم فتركها على حالها في بعد الائتلاف وتقطع الكلام.) .(٢)

---

(١) الكندي، يعقوب بن اسحق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) في الصناعة العظمى، "مقدمة"، ص٦٦.

(٢) ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م) الفهرست، ط٢، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت ١٩٩٧ ص٣٩٨.

أما أشهر نص يوضح لنا المقصود بالترجمة اللفظية أو الحرفية ويبين لنا مثالب هذه الطريقة وعيوبها فهو نص صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في كتابه الغيث المسجم : (وللتراجمة في النقل طريقتان : أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى أخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين، أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها، والثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات) ([1]).

وقد تنبه المؤلفون العرب لهذه الترجمات الحرفية ووصموا هذا النوع من النقل بأنه نقل رديء، ولذلك فإنهم قد نبهوا على كثير من الترجمات الرديئة([2])، وعبّر الجاحظ عن عجز طبقة الحرفيين من التراجمة عن نقل الكتب المترجمة نقلاً صحيحاً بقوله : (فمتى كان رحمه الله تعالى ابن البطريق، وابن ناعمة، وابن قرّة، وابن فهريز، وثيفيل، وابن وهيلي، وابن المقفّع، مثل أرسطاطاليس؟! ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟!) ([3]).

[1]) الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ج١، ص٧٩.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٨، ٣٥٠.

[3]) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) الحيوان، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤ ص٥٤.

- **ترجمة المعنى**: وقد وضحها الصفدي قائلاً : (الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصّل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها، وهذه الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية، لأنه لم يكن قيّماً بها، بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلهي فإن الذي عرّبه منها لم يحتج إلى إصلاح، فأما أوقليدس فقد هذّبه ثابت بن قرة الحراني، كذلك المجسطي والمتوسّطات بينهما) ([1])، وهنا ندرك أن حنيناً قد تمكن من أن يختط لنفسه منهجاً صحيحاً في الترجمة من لغة إلى أخرى، فابتعد عن الترجمة الحرفية، الأمر الذي جعل منه رأس هذه الطريقة، وتقوم هذه الطريقة على قراءة الجملة أو الفصل واستيعاب المعنى الصحيح ثم وضعه في قالب عربي واضح وهي طريق جيدة ،وكان انصار هذه الطريقة معروفين بصدق النظر وسعة الاطلاع ،والنزاهة واستقامة الاخلاق فضلاً عن فهمهم الموضوع الذي يترجمونه باللغتين ،اللغة التي يأخذون عنها واللغة العربية.([2])

اشتهر عدد كبير من المترجمين في هذا العصر قاموا بترجمة عدد كبير من المؤلفات العلمية في كافة المجالات الا انهم اختلفوا في طريقة النقل ،فمنهم من اعتمد على الترجمة الحرفية للنص ومنهم من اعتمد على طريقة ترجمة المعنى التي تنقل المعنى ولا يهمها النص الاصلي واشرنا إلى هاتين الطريقتين في السابق.

---

[1]) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥ص٨٠.

[2]) الرفاعي ،الاسلام في حضارته ونظمه ، ص ٥.

وفـي عهـد المـأمون نشـطت الحركـة العلميـة عامـة وتطـورت حركـة الترجمـة تطـوراً كبيـراً واعتمدت حركة الترجمة التي مثلت أساس النهضة العلمية علي مجموعة كبيرة من المسيحيين وكان من أبرزهم :

حنين بن اسحاق العبادي:

هو أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي، والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة، والنسبة إليهم عبادي ينتمي لقبيلة العباد العربية، والده مسيحي نسطوري كان يشتغل بالصيدلة ، ولد بالحيرة، وأقام مدة من الزمن في البصرة، انتقل بعد ذلك إلى بغداد واشتغل بصناعة الطب ودعاه يوحنا بن ماسويه الى بغداد ليساعده في تحضير الأدوية وفي ترجمة الكتب والمخطوطات ، لكنه اختلف مع ابن ماسويه فغاب عنه فترة تعلم خلالها اللغة اليونانية وأتقنها فأصبح يجيد أربع لغات هي السريانية والعربية والفارسية واليونانية، درس علوم النبات والفلك والرياضيات والمنطق وكان يتقن العربية واليونانية والسريانية والفارسية لذلك برع في النقل والترجمة ([١])، كان إمام وقته في صناعة الطب وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة، درس الطب في مجلس يوحنا بن ماسويه([٢]).

درس العربية وأتقنها في مجلس الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو الذي أدخل كتاب (العين) للفراهيدي إلى بغداد وكان فصيحاً وبليغاً في العربية وشاعراً ثم برع في الترجمة، بل كان شيخ المترجمين وعنوان عصره ([٣]).

---

[١]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢١٧. ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٤. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ط١، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥ ص٦٦.

[٢]) القفطي ، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٦٦.

[٣]) ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، ج٢، ص ١٤٧.

وكان المأمون مغرما ومعجبا بتعريبه وتحريره واصلاحه، ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضا اعتنوا بها ولكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر([1]).

لقد كان حنين مثال العالم المتتبع يطلب العلم في كل مكان ويكثر التجوال والسفر في سبيل الحصول عليه وهذا هو شأن العلماء الحقيقيين أمثال ابقراط وجالينوس وابن الرومية وكثيرين من أمثالهم كما كان العصر الذي ظهر فيه حنين فريداً حيث كان الخليفة المأمون من أكبر أنصار التعليم والترجمة وأكثرهم تشجيعاً للعلماء على البحث والتأليف ولم يكن ينافس حنين أحد من العلماء الذين يقربون من مرتبته العلمية إلا أربعة هم: ابن ربن الطبري وهو بلا شك أدني منه في ممارسة الصنعة و الطيفوري وهو أدني منه ثقافة وعلماً باللغات ، وثابت بن قرة وهو فلكي أكثر منه طبيب وابن ماسويه وكان قد قارب نهاية عمره بالإضافة الي أن حنين كان أقدرهم جميعاً علي الترجمة من اليونانية والسريانية الي العربية وأنشطهم في نشر المعارف الطبية([2]).

ولم يترك حنين بن اسحاق مجالاً في الطب إلا وسلكه وصنف فيه الكثير من المؤلفات ومن هذه المجالات التي سلكها حنين في مجال الطب هو الطب البيطري وله فيه تصنيف ([3]) وكان لحنين ومدرسته طريقتهم الخاصة في الترجمة والتي تتميز باعتماده منهجاً علمياً يقوم علي جمع عدة مخطوطات ومقارنتها مع بعضها وتحقيقها ومن ثم نقلها ومن ثم اختلافه عن اسلوب ابن البطريق في الترجمة وذلك بعدم التقييد بالنص الحرفي على حساب المعنى كما كان يفعل ابن

---

[1]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢، ص ٢١٧.

[2]) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، م١، ط١، دار نضال للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ٣٨٤

[3]) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط١، ج١، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٧ ص ٤٧٤

البطريق كما وتميز بمراجعته لترجمات من سبقوه وتصحيحها أو مراجعة المعلم لأقدم ترجمات تلاميذه وكان يعمل مع الآخرين بشكل جماعي في حقل الترجمة([1])

اشتهر حنين بأعمال الترجمة أكثر مما عرف بتأليف الكتب وقد بلغ مجموع أعماله ما يقارب المائة وأربعين كتاباً وكانت أكثر مؤلفاته باللغة العربية بينما كانت أكثر مترجماته الي اللغة السريانية لرواج هذه اللغة في ذلك الوقت كما كان كثيراً ما يترجم الكتاب إلى اللغتين المذكورتين وبعض مترجماته من نوع خاص في الترجمة لم يكن مألوفاً قبله إلا لدى بعض الاسكندرانيين المتأخرين حيث كان يترجم بعض الكتب بنقل مضامينها على طريقة السؤال والجواب ليفسر ما فيها من إبهام وقلة وضوح وهي الطريقة التي ابتكرها انقلاوس الإسكندراني أما الترجمات التي صنعها بالطريقة المألوفة فليس من السهل في بعضها التفريق بين المؤلف والمترجم وقد وقع في هذا الخطأ حتى ابن النديم المتوفى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٢م وهو أقرب المؤرخين في حياة حنين ابن اسحاق([2]).

تمكن حنين من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، مع إحكامه العربية، وكان فصيحاً بها شاعراً واتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة وبذل له الأموال والعطايا وجعل بين يديه كتّاباً نحارير([3]) عالمين باللغات كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأ ولخص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس وأوضح معانيها وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب،

---

[1]) الطويل، توفيق، العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٨ ص٧٨.

[2]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م١، ص ٣٨٤- ٣٨٥.

[3]) مفردها نحرير وهو العالم الحاذق في علمه. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، دار الدعوة، اسطنبول ١٩٨٩ ص٩٠٦.

فكان يختار لكتبه أغلظ الورق ويأمر كتّابه يخطوها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور ورحل رحلات كثيرة إلى فارس وبلاد الروم وعاصر تسعة من الخلفاء وكان يحفظ إلياذة هوميروس وله كتب ومترجمات كثيرة تزيد على مئة منها : (تاريخ العالم والأنبياء والملوك والأمم) ، و (الفصول الأبقراطية) في الطب، و (سلامان وأبسال) قصة مترجمة عن اليونانية، و (القول في حفظ الأسنان واستصلاحها) و (الضوء وحقيقته) رسالة كتبها بالسريانية وترجمها إلى العربية قيم بن هلال الصابئ، وله كتاب (حلية البرء) مما ترجمه عن جالينوس، وله (التشريح الكبير) عن جالينوس أيضا، (المسائل في العين) و (المدخل إلى علم الروحانيات) و (المسائل في الطب للمتعلمين) (قوى الأغذية) ترجمه عن جالينوس، و (تدبير الأصحاء) عن جالينوس أيضاً ([1])

واخيرا نجد لحنين بن اسحاق وحدة فهرست ضم نحو مائتين وستين كتاباً ومترجماً وشرحاً وتفسيراً وضم نحو مائة وخمسة عشر كتاباً مؤلفاً في الطب والتشريح والفلسفة والعلوم الأخرى ومؤلفات أبو قراط وافلاطون وأرسطو والاسكندر الامزدوسي نجد تفاصيلها في كتاب الفهرست لابن النديم وفي كتاب طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة وكتاب تاريخ الحكماء للقفطي وغيرهم وحنين هو شيخ الطب بالعراق في زمانه ، كان بصيرا باللغة اليونانية فعرب كتباً عديدة في الطبيعي والرياضي وكان المأمون ذا غرام بتعريبها ومعرفتها ولحنين مصنفات مشهورة في الطب والمسائل وغيرها وكان ذا ثروة ورفاهية وتنعم وله أموال وغلمان ([2]).

وكتاب مسائل حنين هو أشهر كتبه وربما كان أهمها جميعاً قال عنه بن أبي أصيبعة: وهو المدخل في صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم وقد ذكر بعض الكتاب المتأخرين هذا الكتاب باسم: المدخل إلى صناعة الطب ، كما ذكره

---

[1]) الزركلي، خير الدين، معجم الأعلام، ط١٥، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢ ص٢٨٧.

[2]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ط٢ ، ج١٩، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣ ص ١٢٨

بعض الكتاب باسم كتاب المسائل في الطب للمتعلمين وقيل أيضاً أن هذا هو عنوان كتاب آخر من صنع حنين وأنه ليس بكتاب المسائل الذي نتحدث عنه ، وربما كان كتاب المسائل لحنين أكثر كتاب حظي باهتمام الأطباء العرب قبل ظهور كتاب القانون لابن سينا الذي صدر بعد حوالي قرن من وفاة حنين وكان أول من التفت إلى كتاب مسائل حنين هو الطبيب ابو بكر محمد بن خليل الرقي المتوفي سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ثم شرحه تلميذ ابن سيناء ابو قاسم عبد الرحمن النيسابوري المتوفي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ([1]).

ولسعة هذا الكتاب المهم وضعت له مختصرات منها: كتاب حاصل المحصول لإبراهيم النبريزي ، وكتاب اختصار كتاب المسائل لمحمد بن يوسف المقبلي وكان حنين قد وضع الأصول الأولى لكتاب المسائل بعد وفاة تلميذه وابن اخته حبيش الأعسم وأضاف عليه مقالتين في الترياق أخذ مضامينها من كتاب جالينوس ولذلك ورد اسم الكتاب ايضاً بعنوان: المسائل لحنين مع زيادات لحبيش، وقد نقل مرقص الصقلي كتاب المسائل لي اللغة اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر ، ونقله روفينو الإيطالي إلى نفس اللغة وطبع بها في البندقية سنة ١٤٨٧م وفي لايبزج سنة ١٤٩٧م ثم ترجم الكتاب ايضاً إلى العبرية.([2])

وله كتاب العشر مقالات في العين والذي يعتبر أول كتاب علمي ظهر في أمراض العين، يضم بعض الرسوم التشريحية التوضيحية لطبقات العين، نال هذا الكتاب شهرة واسعة لذلك اعتمد رئيس المحتسبة سنان بن ثابت بن قرة لامتحان الكحالين زمن الخليفة المقتدر بالله العباسي وقد ألفه لتلميذه وابن أخته حبيش فجمع له المقالات التي كتبها بخصوص العين فكانت

---

[1]) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٢٧١ . السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص٣٨٥.

[2]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص٣٨٦.

تسع مقالات وجعلها كتاباً واحداً، وقد أضاف للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى ذكر فيها كتبهم لعلل العين، وهذا ذكر أغراض المقالات التي يضمها هذا الكتاب: المقالة الأولى يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها والمقالة الثانية يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعها والمقالة الثالثة يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفي نفس الإبصار كيف يكون والمقالة الرابعة فيها جمل الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها والمقالة الخامسة يذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة في العين والمقالة السادسة في علامات الأمراض التي تحدث في العين والمقالة السابعة يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة والمقالة الثامنة يذكر فيها أجناس الأدوية للعين خاصة وأنواعها والمقالة التاسعة يذكر فيها مداواة أمراض العين ثم المقالة العاشرة في الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة إلى هذا الكتاب، يذكر فيها علاج الأمراض، التي تعرض في العين بالحديد([1]).

إسحاق بن حنين:

هو أبو يعقوب اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي ،وكان يلحق بأبيه في النقل ومعرفته باللغات وفصاحته فيها الا إن ترجمته للكتب الطبية ضئيلة جداً بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب ارسطو طاليس في الحكمة وشروحها إلى لغة العرب ، فهو يتقن اليونانية والسريانية ، خدم بعض الخلفاء منهم الخليفة المأمون([2]) كان اسحاق واسع المعرفة ورياضي الروح وله نوادر مستملحة ويحفظ الشعر وينظمه واختص بصحبة القاسم بن عبيد الله([3]) وزير

---

[1]) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٢٢١

[2]) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٥٧.

[3]) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي: وزير، من الكتاب الشعراء، استوزره المعتضد العباسي، بعد أبيه عبيد الله، سنة ٢٨٨ هـ/٩٠١م ولما مات المعتضد (٢٨٩هـ/٩٠٢م) قام القاسم بأعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي في غيبته بالرقة، ووزر له وتزوج ابنه " محمد " بنتا للمكتفي، ولقب القاسم بولي الدولة، وعظمت مكانته

المعتضد، وشاع أنه أسلم في شيخوخته وقد عمر ثلاث وثمانين سنة وتوفي في خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٨ هـ/٩١٠م وهو يعاني من مرض الفالج.([١])

لقد كانت أكثر أعمال اسحاق بن حنين علي عكس أبيه في ترجمة الكتب اليونانية الفلسفية وأقلها في الطب على أنه شارك أبيه في كثير من ترجماته الطبية التي نشرت باسم أبيه وله عدا ذلك مؤلفات في الطب وتعليقات وشروح علي أفكار العلماء اليونان واختصارات لكتبهم ([٢]) وكان اسحاق يجيد اللغة السريانية واليونانية بالإضافة إلى اللغة العربية وبما كان يفوق أباه في سبك العبارة ([٣]) وقد قدم اسحاق بن حنين لحركة الترجمة خدمة كبيرة بعدد ترجماته وجودتها فأفضى عليها من هذه الناحية طابع النشاط والازدهار ومن الناحية الأخرى فقد افادها بمصنفاته الكثيرة ومنها كتاب الأدوية المفردة على الحروف (كتاب التاريخ للطب ،كتاب الكناش اللطيف ،كتاب اصلاح الادوية المسهلة ، اختصار كتاب اقليدس ،كتاب المقولات ،كتاب في النبض على جهة التقييم ،مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ وتمنع النسيان ، مقالة في التوحيد ومن أهم ما اثره في الترجمة والنقل ترجمة كتاب الأبواب على رأس الحكماء والفلاسفة لفريفوريوس و شرح مقالات ارسطو طاليس في علم النفس وترجمة رسالة قلع الاثار([٤]).

(ت٢٩١هـ/٩٠٤م). الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، ط١، ج١٤، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤ ص١٨.

[١]) ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، ج٢، ص٢٧٤.

[٢]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص ٤٠١.

[٣]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص ٤٠١.

[٤]) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٩٧.

حبيش بن الحسن الأعسم

هو حبيش بن الحسن الدمشقي وهو ابن اخت حنين بن اسحاق ومنه تعلم صناعة الطب وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى بنقله فهو من الناقلين الجيدين عن السريانية واليونانية إلى العربية ([1]) كان نصرانياً أحد تلاميذ حنين والناقلين من اليوناني إلى السرياني إلى العربي، وقيل من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له فإن أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين وكثيراً ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش فيعتقد البعض منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله لحنين([2]).

ذكر ابن أبي اصيبعة قائلا :(حبيش هو تلميذ حنين بن اسحاق، ناقل مجيد، يلحق بحنين واسحاق وقد تعلم صناعة الطب من حنين وكان يسلك حنين في نقله وفي كلامه وأحواله ،إلا أنه كان يقصر عنه، وقال حنين بن اسحاق وقد ذكره في بعض المواضع :إن حبيشا ذكي مطبوع على الفهم، غير أنه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه بل فيه تهاون، وان كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثاقباً، وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين ،وجعله مدخلاً إلى هذه الصناعة([3]) إن حبيش الاعسم لم يشتهر كناقل فحسب بل عرف ايضا في مجال رعاة الترجمة ،كأحد الأطباء الذين رعوا هذه الحركة وعملوا في سبيل تشجيعها وازدهارها ([4]) وإن الترجمات الكثيرة التي قام بها حبيش الاعسم، قد زادت من جهود مجيدة في مجال النقل ،أسفرت عن نقل جزء غير قليل من تراث اليونان الطبي والفلسفي ،وامتاز حبيش بدقة ترجماته وثقافته الواسعة وبخاصة في مجال الطب كما اشتهر بسيطرته على اللغات التي يترجم منها واليها وانه

---

[1]) ابن النديم، الفهرست، ص ٤١٤.

[2]) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء ، ج١، ص ١٣٦.

[3]) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج٢، ص١٦٧ – ١٧١.

[4]) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠٣.

ركز في ترجماته على العلوم الطبية وبخاصة ما عرف حينذاك بسلسلة الكتب الستة عشر والتي هي من تأليف جالينوس ومن أهم الكتب التي قام بترجمتها أو تأليفها في زمنه: كتاب عهد ابقراط وكتاب ماء ، كتاب الحشائش لديسقوريديس ، كتاب جالينوس في الأدوية المفردة، كتاب اصلاح الأدوية المسهلة ، كتاب الأدوية المفردة، كتاب الأغذية وكتاب في الاستسقاء وأخيراً كتاب مقالة في النبض على جهة التقسيم.(١)

شارك حبيش في ترجمة الكثير من أعمال حنين إلى اللغة العربية إلا أن أغلب أعماله نسبت إلى خاله من غير ذكر اسمه فيها وذلك لجودتها وحسن عبارتها التي لا ترقي إليها كفاءة حبيش على تقدير بعض النساخ كما أن تقارب رسم اسميهما يجعل الخلط فيما بينهما سهلاً (٢).

قسطا بن لوقا

من نصارى بغداد البارزين(٣) في الفلسفة والعلوم الرياضية وأعمال الترجمة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي والأرجح أن اصل أسرته من الأروام الذين استوطنوا بعلبك فولد فيها ونشأ صاحب هذه الترجمة ، ثم سافر إلى ديار الروم واستزاد من معارفها(٤) ، ولما رجع إلى موطنه كان قد أجاد اللغة اليونانية وكثيراً من علومها العقلية والتطبيقية وقدم إلى بغداد في

---

١) ابن النديم، الفهرست، ص٤٠٣.

٢) إن كثيراً مما نقله حبيش إلى العربية نسب إلى حنين. قال القفطي: يري الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ويغلب علي ظنه أنه حنين لتقارب رسم الاسمين فكتبه تصحيفاً فيكشطه ويجعله حنيناً. القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٧٧.

٣) انظر ابن النديم، الفهرست، ص ٢٩٥.ابن جلجل، طبقات ابن جلجل، ص٧٦. القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٢٦٢-٢٦٣ ، ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٢٢٩ – ٢٣٠ الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٤٠-٤١.

٤) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٢٦٣.

خلافة المقتدر المتوفي سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م، وصار يمارس علومه فيها ، وحيث كان فصيحاً في ليونانية والعربية أناطوا به نقل الكتب اليونانية إلى العربية فأجاد في هذا العمل ويضعه ابن النديم إلى جانب حنين ابن اسحاق في العلم والفضل وصحة الترجمة([1]) ويصفه ابن جلجل علي أنه (طبيب حاذق، نبيل ، فيلسوف ومنجم وعالم بالهندسة والحساب، كما كان ابن لوقا يهوي الموسيقى ويحسن اللعب بآلاتها ، وعمل قسطا بن لوقا في بيت الحكمة وترجم فيها إلى العربية كثيراً من كتب الفلسفة اليونانية وكتب الطبيعيات والطب بالتعاون مع زملائه حنين بن اسحاق وثابت بن قرة واسحاق بن حنين ثم سافر إلى أرمينيا بدعوة من أميرها سنحاريب وهناك لاقي احتراماً وتقديراً من حكام البلاد والعامة وفيها توفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م وله مؤلفات كثيرة في العلوم الطبيعية والنجوم والحساب والهندسة والاجتماع والتاريخ فهو موسوعي المعلومات وكثير الانتاج وكتبه الطبية محصورة في الاختصاصات الدقيقة التي تدل علي سعة تمرسه بعلومها([2])

وقد بدأت المسيرة العلمية لقسطا بن لوقا حين دأب الخلفاء على إيفاد البعثات لطلب الكتب من الأباطرة البيزنطيين، فقد أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ هـ/ ٧٥٨- ٧٧٤ م) إلى الإمبراطور البيزنطي يطلب كتبا يونانية، فأجابه الإمبراطور إلى طلبه وأرسل إليه كتبا كان منها كتاب إقليدس (أصول الهندسة) ومن أهم البعثات العلمية التي ذهبت من بغداد إلى البلاد البيزنطية للبحث عن الكتب تلك التي رأسها قسطا بن لوقا، الذي يقول عنه القفطي: قسطا بن لوقا فيلسوف شامي نصراني في أيام العباسيين، دخل بلاد الروم، وحصل من تصانيفهم الكثير، وعاد إلى الشام، واستدعي إلى بغداد ليترجم كتبا يستخرجها من لسان يونان إلى لسان

---

[1]) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٥.

[2]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ص٤٢١.

العرب، وعاصر يعقوب الكندي، وكان قسطا متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية، ماهرا في صناعة الطب([1])

ولقد بلغت حركة البحث عن الكتب اليونانية وإيفاد البعثات إلى الدولة البيزنطية من أجل الحصول عليها أوجها في عهد الخليفة المأمون، الذي كان نسيج وحده في حب العلم والثقافة بعامة والثقافة اليونانية بخاصة وقسطا بن لوقا ذلك الفيلسوف النصراني في الدولة الاسلامية دخل الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثيرة وعاد الى الشام واستدعي الى العراق ليترجم الكتب وله تصانيف مختصرة بارعة وقيل اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام بها الى ان مات هناك وبنى على قبره قبة إكراماً له كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع وقيل عنه انه أفضل من صنف كتاباً بما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من الاختصار للألفاظ وجمع المعاني.([2])

كان قسطا بن لوقا البعلبكي احد النقلة البارزين في عصر المأمون وقد اشتهر قسطا بمعرفته باللغتين اليونانية والعربية ،إن وجوده في هذا العصر كان له أثر بارز في ازدهار حركة الترجمة حيث أقدم على ترجمة مختلف المصنفات اليونانية إلى العربية وكان قسطا معروفا بحسن سيرته وصاحب منزله رفيعة بين أصحابه من الأطباء وفلسفته وفنه وذكر ابن النديم أن قسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام وقد كان يجب إن يقدم على حنين بن اسحاق بفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب وكلا الرجلين فاضلان وقد ترجم قسطا قطعه من الكتب القديمة وكان بارعاً

---

[1]) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ج١، د.ط) د.ت)، ص٣٠٩.

[2]) ابن العبري، يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت ١٩٩٢ ص١٤٩.

في علوم كثيرة ومنها الطب والفلسفة والهندسة والإعداد والموسيقى لا مطعن عليه فصيحاً باللغة اليونانية جيد العبارة بالعربية([1])

زار عدداً كبيراً من البلدان وخصوصاً بلاد الروم وذكر القفطي قائلا: دخل إلى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد إلى الشام واستدعي إلى العراق ليترجم ويستخرجها من لسان اليونان إلى لسان العرب وعاصر يعقوب بن إسحاق الكندي([2])

وذكر ابن أبي اصيبعة : انه كان ناقلاً خبيراً باللغات فاضلاً في العلوم الحكمية وغيرها ،وكان معاصراً لأبرز الأطباء وفلاسفة ونقله مدرسة حران الشهيرة (ثابت بن قرة الحراني) ومن المؤكد أن اجتماع هؤلاء الثلاثة في هذا العصر كان له الأثرالكبير في ازدهار حركة الترجمة وبخاصة إذا ما علمنا إن قسطا ويعقوب وثابت كانوا من النقلة المشاهير والمجيدين في هذا الحقل إلى أبعد الحدود([3]) ومن جهة أخرى كان قسطا هذا غزيرا في انتاجه لمؤلفات مختلفة تمر في مجموعها اصدق تعبيرا عما اشتهر به قسطا البعلبكي من مهارة وبراعة في العلوم المختلفة، واذا اردنا إن نتبين اثر قسطا في النهضة العلمية في عصره ،فان مؤلفاته في هذا الباب ،وهي خير دليل لنا نستدل به على مبلغ ذلك الأثر الذي تركه قسطا في تلك النهضة العلمية التي شهدها عصره.

وذكر القفطي وقال بعض المؤرخين كان قسطا بن لوقا فاضلاً في العلوم مليح الطريقة في التصنيف فلو قلت حقا ،قلت انه أفضل من صنف كتابا بما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني.([4]) وقد ترجم البعلبكي الكثير من كتب فلاسفة

---

[1]) ابن النديم، الفهرست، ص٤١٠.

[2]) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٧٣.

[3]) الجميلي حركة الترجمة في المشرق الاسلامي، ص٣١٣.

[4]) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٢٦٣.

اليونان إلى اللغة العربية وخصوصا كتب ارسطو طاليس وعن اخبار قسطا بن لوقا في اواخر ايامه انه قد رحل إلى أرمينية وأقام بها وكان بأرمينيا أبو الغطريف البطريق(من اهل العلم والفضل) فعمل له قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم ومات هناك فدفن وبني عليه قبة واكرم قبره كا كرام قبور الملوك وهكذا استطاع قسطا من إن يؤثر حقيقة في عملية الترجمة والنقل في هذا العصر وذلك بسبب نقوله الكثيرة وجودته في هذه النقول([1]) وفيما يلي أهم مؤلفاته وما قام به من ترجمة لكتب ارسطو طالبس ومنها ترجمة كتاب السماع الطبيعي لارسطو طاليس، ترجمة المقالة الأولى من كتاب الكون والفساد في جملة كتب المنطق والطبيعيات والالهيات والاخلاق لارسطو طاليس ثم المدخل إلى الهندسة على المسألة والجواب بارع في فنه، وأخيراً المدخل إلى الهيئة وحركات الافلاك.([2])

ومن مؤلفات لوقا: رسالة في التحرز من الزكام والنزلات اللاتي ترد في الشتاء ، رسالة في الأدوية المسهلة والعلاج بالإسهال وكتاب في الوزن والكيل ، كتاب في الأخلاط الأربعة وما تشترك فيه، كتاب في النوم والرؤيا ، كتاب في الحميات، كتاب في أوجاع النقرس، كتاب في الباه وضعه علي طريقة المسألة والجواب لابن مخلد ابي الحسن أحمد ، كتاب في الاذي ورسالة في الضرس ورسالة في ذكر إصلاح الأدوية المسهلة ونفي ضررها ومقدار لشربة منها وضروب استعمالها، ومقالة في الوباء ورسالة في تدبير الأبدان في السفر للسلامة من المرض والخطر، ورسالة في السهر وأسباب الأرق، ورسالة في علل الشَعْر وكتاب في البلغم وعلله ومداواته ومقالة

---

[1]) الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الاسلامي، ص٣١٤.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٤١٢.

في الدم ومقالة في المرة الصفراء ومقالة في المرة السوداء ، وكتاب في الفصد ورسالة في تركيب العين وعللها ، وكتاب في القوة والضعف وغيرها من التصانيف. ([1])

يوحنا بن ماسويه:

من أطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني و كان فاضلاً مقدماً عند الملوك عالمًا مصنفاً ومن كبار أطباء مدينتي جنديسابور وبغداد عاش فيما بين عامي ١٩٠-٢٤٣هـ/٨٠٥-٨٥٧م وتوفي في مدينة سامراء واشتهر بالذكاء وتتلمذ على يده أعداد كبيرة من أطباء عصره، وكانت له خبرة جيدة في ترجمة الكتب القيمة، بدأت مهمته في الدولة الإسلامية منذ ولآه هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بأنقرة وعمورية، وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون ووضعه أمينًا على الترجمة، وكان يوحنا صاحب النصيحة لبناء دار كبيرة للكتب فقام الرشيد ببناء دارٍ اتسعت فيما بعد حتى صارت أكاديمية للعلوم (بيت الحكمة) في عصر المأمون وأسند المأمون رئاستها إلى يوحنا عام ٢١٥هـ/٨٣٠م وكان معظما ببغداد جليل القدر وله تصانيف جميلة وكان يعقد مجلسا للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون، وكان في يوحنا دعابة شديدة يحضره من يحضره لأجلها في الأكثر وكان من ضيق الصدر وشدة الحدة على اكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع وكانت الحدة تخرج من يوحنا ألفاظا مضحكة ([2])

يقول كمال السامرائي: يوحنا بن ماسويه أشهر واحد من أسرة ماسويه وهو الذي خلد اسمها لأعماله الجليلة في صناعة الطب، فهو من مشاهير أطباء بغداد وسامراء في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ومن أكثرهم حظوة من خلفائها المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، فقد

---

[1]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م٢، ص٤٢٢-٤٢٤.

[2]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٣١.

تعلَم اللغة السريانية والعربية فلم يجد صعوبة في دراسة العلوم الطبية المكتوبة بهاتين اللغتين واستمرَ يصعد في المراتب الاجتماعية والحكومية حتى وصل إلى بلاط الخليفة المأمون([1])

أنشأ الخليفة هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣ هـ/ ٧٨٦- ٨٠٨ م) بيت الحكمة في بغداد ليكون أول مؤسسة علمية أكاديمية تضطلع بهذا الدور في التاريخ، وهو دور الترجمة، وكان أول رئيس لهذه المؤسسة العلمية العظيمة هو يوحنا بن ماسويه، وكان نصراني الديانة سريانيّا، يقول ابن أبي أصيبعة قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة وخدم هارون الرشيد والأمين والمأمون، وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل([2]).

وقد قيل :إن يوحنا من بين هؤلاء الذين نفذهم المأمون إلى بلاد الروم لجلب الكتب القديمة والمفيدة وكان له قدرة عالية على ترجمة الكتب اليونانية وقد خلف لنا ابن ماسويه أقدم كتاب نظامي في علم الرمد في اللغة العربية وقد توفي يوحنا بن ماسويه في سامراء سنة ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م، وترك لنا مجموعة غير قليلة من الكتب والتصانيف في شتى العلوم ،وكان عددها أكثر من أربعين كتاباً ومن أشهرها ما بين التأليف والترجمة: كتاب الكمال والتمام، كتاب الكامل، كتاب دفع ضرر الأغذية، كتاب الاسهال، كتاب علاج الصداع، كتاب السدر والدوار و كتاب محنة الطب فلقد وضع يوحنا بن ماسويه العديد من المصنفات والتي كانت بمثابة منبراً لمن يريد دراسة الطب من بعده ومن مصنفاته (كتاب البرهان) وهو في ثلاثين بابًا، و(كتاب البصيرة) و(كتاب الكمال والتمام) وقد جمع فيه ابن ماسويه معلومات عن رطوبات الفم وأدويتها وأدوية العين والمغص وأوجاع المعدة وأمراض الكلى، وعلاج المفاصل، وغيرها من الأمور المتعلقة

---

[1]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م٢، ص٣١٣.

[2]) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ج١، ص ٣٦٤.

بعلاج هذه الأمراض وغيرها، ومن مؤلفاته أيضًا (كتاب الحميات) والذي جمع فيه معلومات عن الأمراض التي تصيب الأذن، والصداع وعلاجه كما وتناول فيه الكبد والمرارة باستفاضة لم يسبق لها مثيل و(كتاب في الأغذية) جمع فيه معلومات عن منافع بعض الأغذية وتداوي الريح الغليظة في البطن والإمساك وكتاب آخر في (الأشربة) الي جانب كتاب آخرفي (الفصد والحجامة)، (كتاب في الجذام)، كتاب (الجواهر) جمع فيه معلومات عن أنواع الجواهر؛ كالذهب، والفضة، والزمرد، والياقوت، والمرجان، وغيرها متنوعات مثل (كتاب دفع مضار الأغذية)، و(كتاب الأزمنة)، و(كتاب في الصداع) وعلله، وأوجاعه، وجميع أدويته، والسدد والعلل المولدة لكل نوع منه، وجميع علاجه و (كتاب الصدر والدوار أما من أشهر كتبه علي الإطلاق فهي كتاب (محنة الطبيب) الذي جمع فيه معلومات عن حالات نبض المحموم وبوله وكتاب (معرفة محنة الكحالين و كتاب (التشريح) و كتاب تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه، ومعرفة أسباب الأوجاع الذي ألفه للمأمون([1]).

وهو من أوائل المترجمين ، درس الطب على يد والده في جنديسابور، رحل إلى بغداد زمن هارون الرشيد ومارس فيها مهنة الطب وكان ذكياً وطبيباً فاضلاً فاشتهر أمره وذاع صيته فوصلت أخباره هارون الرشيد فعهد إليه رئاسة مدرسة الطب في بغداد وكلفه بترجمة بعض الكتب اليونانية التي حصلوا عليها من أنقرة ومن بلاد الروم([2]).

ابن ربن الطبري

هو أبو الحسن علي بن سهل ربن الطبري المولود في طبرستان بين عامي ١٥٤ – ١٦٤هـ/٧٧١–٧٨٠م الموافق لخلافة أبي جعفر المنصور واوائل خلافة ابنه المهدي وقد ولد في

---

[1]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م٢، ص ٤٠٧– ٤٠٨.

[2]) صبري، آمنة، لمحات من تاريخ الطب القديم، ط٢، مكتبة النصر، القاهرة ، ١٩٦٦ ص٢٣٥.

أسرة معروفة بالعلم والتدين ومركزها لدى ولاة الامور وكان أباه سهلاً فاضلاً ومتبحراً بدين النصرانية ويمارس التنجيم والطب والحساب ولقب علي هذا برين أي المعلم أو الاستاذ وذكر القفطي واهماً أن الاب سهلاً كان يهودياً [1] علي اعتبار أن مصطلح (رين أو رباي) تستعمله تلك الملة لرجال الدين عندهم وذكر ابن أبي أصيبعة أنه –اي سهل ربن الطبري– عمل في الترجمة ويظن أنه أول من ترجم كتاب المجسطي في الفلك لبطليموس[2] ونشأ علي بن ربن الطبري علي دين أبيه وكان مثله شغوفاً بمعرفة العلوم فدرس عليه الطب والتنجيم والهندسة وكذلك فقه الدين المسيحي كما تعلم اللغة العربية والسريانية وربما شيئاً من اليونانية والهندية والعبرية بالإضافة الي اللغة الفارسية. [3] وكانت بغداد وقتها قبلة الأنظار ومعقل العلماء فشد الرحال إليها ليطلع علي ذخائرها من الكتب العربية واليونانية والهندسية فأذهله ما وجد فيها من نفائس المخطوطات وخصوصاً في العلوم الطبية وسيطرت عليه فكرة وضع كتاب في هذه الصناعة يبسط فيه المادة العلمية ويسهل فهمها علي طلاب المعرفة ولم يكن هناك وقتها كتاب طبي مبتكر بالعربية حيث كانت الكتب الطبية المتداولة القليلة مترجمة عن اليونانية وغير موسوعية فشرع ابن ربن في تأليف كتابه (فردوس الحكمة) إلا أنه لم يكمله في بغداد فقد اضطر ان يعود إلى موطنه في طبرستان وهناك صار يمارس الصنعة ويعلمها للناس [4] وربما كان من طلابه في تلك الفترة أبو بكر الرازي الذي هو الآخر من مواطني الري كما كان ابن ربن بنفس الوقت يخدم في دواوين الإدارة لأمراء تلك البلاد ويحرر في كتابه فردوس الحكمة ثم استدعي ابن

---

١) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء ، ص ٢٩٦. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص ٤١٤.

٢) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء ، ص ١٨٧.

٣) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م١، ص ٤٠٨.

٤) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء ، ص ١٨٧.

ربن إلى سامراء لينضم إلى أطباء الخليفة وغير معلوم علي وجه الدقة اسم الخليفة الذي استدعاه وإن كان الترجيح يميل إلى الخليفة المأمون لشدة حبه للعلم ورغبته الجامحة في جمع العلماء من شتي بقاع الأرض ويقال أن الخليفة المتوكل طلب من ابن ربن أن يعتنق الإسلام ففعل وأكمل أثناء خدمته للمتوكل كتابه فردوس الحكمة.([1]) .

عاصر ابن ربن الطبري ابن الطيفوري وزامل بعض مشاهير الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه وحنين ابن اسحاق وبختيشوع بن جبرائيل ولابد أنه كان بينه وبينهم علاقات وأحداث إلا أننا لا نجد في التراثيات ما يشير لي تلك العلاقة أو بعض وقائعها ولا شك أنه استعان بلغة حنين وتلاميذه في وضع تعابير ومصطلحات كتبه الطبية واللغة العربية في كتابات ابن ربن الطبري باي حال سليمة القواعد وعباراتها حسنة كما ألف ابن ربن الطبري بالسريانية ولم نعرف أنه كتب بلغة قومه الفارسية وكانت له أيضاً نظرة في الفلسفة بالإضافة إلى الأدب وله حكم لا تبتعد عن المبادئ الطبية منها([2])

- الطبيب الجاهل مستحث الموت.
- طول التجارب زيادة في العقل.
- المتكلف يورث الخسارة.
- شر القول ما نقض بعضه بعضا .

توفي ابن ربن الطبري بعد خلافة المتوكل المتوفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م واختلف المؤرخون في عدد مؤلفاته وفي أسمائها واعتقد البعض ان قسماً منها منحول عليه وأهمل البعض الآخر

[1]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، م١، ص ٤٠٩.

[2]) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص ٤١٤.

ذكر قسم آخر من مؤلفاته حتي اشهرها وهو كتاب فردوس الحكمة في الطب وكتبه المعروفة هي:

- كتاب فردوس الحكمة في الطب وهو بصيغتين عربية وسريانية ومخطوطته العربية في مكتبة (رامبور وبرلين ودانكشان بطهران) ويعرف أيضاً باسم المنافع وشمس الآداب.
- كتاب حفظ الصحة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير، وكتاب الحضرة ، وكتاب الحجامة ، وكتاب في الرقى ، وكتاب الإيضاح من السمن والهزال وكتاب الدين والدولة (مانجستر)([1]) وكتاب الؤلؤة ويعتقد مايرهوف أنه كتاب فردوس الحكمة ذاته وكتاب الجوهرة وكتاب الأمثال والأدب علي مذهب الفرس والروم والعرب وكتاب ارفاق الحياة وكتاب تحفة الملوك.([2])

سهل بن سابور

ويعرف بالكوسج وكان بالأهواز وفي لسانه لثغة خوزية وتقدم بالطب في أيام المأمون وكان إذا اجتمع مع يوحنا ابن ماسويه وجبورجيس بن بختيشوع وعيسى بن الحكم وزكريا الطيفوري قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج. ومن دعاباته انه تمارض واحضر شهودا يشهدهم على وصيته وكتب كتابا اثبت فيه أولاده فأثبت في اوله جيورجيس ابن بختيشوع والثاني يوحنا بن ماسويه([3])

---

[1]) كتاب الدين والدولة حققه عادل نويهض ونشره سنة ١٩٧٧ كما سبق وأن نشرته مجلة المقتطف.

[2]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي ، م١، ص٤١١.

[3]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ج١، ص ١٣٨.

جبرائيل بختيشوع بن جرجس النصراني ([1])

هو رأس الأطباء وابن شيخهم وكان قد قدم على الرشيد وتقدم في أيامه وبختيشوع بالسريانية أبي عبد المسيح وكان أباه طبب المنصور ورجع مكرما إلى جنديسابور، ولما مرض الهادي سنة سبعين ومائة أمر بإقدام بختيشوع، وأحضر، فمات الهادي قبل مجيئه وامتحنه الرشيد أول ما قدم بأن قدم له قارورة فيها بول حمار، وقال: ما يصلح لصاحب هذه القارورة؟ قال: شعير جيد. فضحكوا وله من المصنفات «كتاب التذكرة» ألفه لولده جبريل.([2])

فما إن مات الأب حتى ورث الابن مجد أبيه في الطب ونال شهرته في بغداد وقد كان الابن مثل أبيه، فاضلاً عالمًا بصناعة الطب ويجيد ممارستها ولا ريب في ذلك فقد استخلفه أبوه على البيمارستان في جنديسابور ويكفي هذا شهادةً له على تفوقه من أبيه الذي كان ضليعًا في الطب وقد نال بختيشوع شهرة أبيه، ليس لكونه ابن جورجيس الشهير، وإنما لما خلفه من موروث علمي كبير جمعه في كتابه الشهير (التذكرة)، وقد أَلَّف هذا الكتاب لابنه جبر ائيل وهو يعتبر كُنَّاشًا صغيرًا جمع فيه العديد من الأمراض المنتشرة في عصره مثل: السل، والاستسقاء، وقروح المعدة، وغيرها الكثير.

أما عن جبرائيل بن بختيشوع، فقد كان خير خلف لخير سلف، وقد نال علم والده وجده لذلك صار نابغة زمانه في الطب، وقد عرف عنه أنه جيد التصرف في المداواة عالي الهمة حظيًّا عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم وقد حصَّل من جهتهم الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء.

---

[1]) انظر الفهرست لابن النديم، الفهرست، ص٢٩٦. القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ١٠٠. الأندلسي، أحمد بن عبد ربه (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) العقد الفريد، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢ ص٨٥-٨٦. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص ١٣٠-١٣١. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص١٢٥. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٨٩.

[2]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٨٢.

وقد نال جبرائيل شهرة واسعة، حتى صار طبيبًا لجعفر بن يحيى البرمكي كما كانت له منزلة كبيرة لدى المأمون، وذلك عقب الرسالة التي بعثها له في المطعم والمشرب، والتي بقيت دليلاً لأطباء عصره في مجال الأغذية وكان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة، عالي الهمة، سعيد الجد، حظياً عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم، كثيري الإحسان إليه، وحصل من جهته من الأموال، ما لم يحصله غيره من الأطباء، قال فثيون الترجمان لما كان في سنة خمس وسبعين ومائة، مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته، ولما كان في بعض الأيام قال له جعفر أريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه وأحسن إليه، قال له بختيشوع ابني جبرائيل أمهر مني، وليس في الأطباء من يشاكله، فقال له احضرنيه، ولما أحضره عالجه في مدة ثلاث أيام وبرأ، فأحبه جعفر مثل نفسه، وكان لا يصبر عنه ساعة، ومعه يأكل ويشرب ولما مرضت إحدى محظيات الرشيد وعجز الأطباء عن مداواتها، أشار جعفر البرمكي عليه بجبرائيل، الذي شفاها، فأحبه الرشيد وعينه كبيراً للأطباء وقد كان مشهوراً بالفضل عالماً بالمداواة ومحظياً من الخلفاء العباسيين، فحصل منهم على المال الكثير، وقد قربه الرشيد كثيراً لدرجة أنه قال: من أراد مني شيئاً فليخاطب به جبرائيل، لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني(١)

ولكن لما مات الرشيد وانتقلت الخلافة إلى الأمين انتقل جبرائيل لخدمته وبقي إلى أن خلع الأمين وانتقلت الخلافة إلى المأمون، ونتيجة للدسائس ولحسد الحاسدين قام المأمون بسجنه، وتركه إلى أن مرض المأمون وعجز أطباؤه عن شفائه، فدعا جبرائيل من سجنه فشفاه، فرده عندئذ المأمون إلى مكانته السابقة وأجزل له العطاء

ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب ما يلي:

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٤٤.

- رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب.
- كتاب المدخل إلى صناعة المنطق.
- كتاب في الباه.
- رسالة مختصرة في الطب.
- كناش.
- كتاب في صنعة البخور، ألفه لعبد اللّه المأمون.

يحيى بن البطريق

يحيى بن البطريق المتوفي سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) هو مترجم كان مولى للمأمون، ويعرف أيضا بيوحنا الترجمان وقد ذكر الزركلي أنه كان أمينا على الترجمة حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب كما كان يجيد اللاتينية واليونانية([١]).

وقد جاءت أول الترجمات في حقل الفلسفة على ما يبدو على يد يحيى بن البطريق الذي عاصر الرشيد والمأمون وأهم كتاب نقله الى العربية كان كتاب (طيماوس) لأفلاطون وأغلب الظن أن ما ترجمه يحي هذا كان موجز جالينوس لمحاورة طيماوس الرابعة وليس طيماوس كاملاً وترجم ابن البطريق كتاب ارسطو في النفس، وكان لهذا الكتاب المترجم تأثير حاسم في تطور نظرة العرب الى علم النفس ، كما وينسب الى ابن البطريق كذلك ترجمة كتاب الحيوان في تسعة عشر جزءاً وكتاب القياس وكتاب سر الأسرار المنحول وكلها تعود الى أرسطو ثم نحا منحى ابن البطريق في ترجمة المؤلفات الفلسفية ، في ما بعد علماء أكثر كفاءة واقبلت جماعات من الوجهاء والأغنياء الى منافسة الخلفاء باحتضانهم للمترجمين ومن اشهر هؤلاء بني موسى الذين انفقوا بسخاء على حيازة الكتب العلمية والفلسفية وعلى ترجمتها وبرز منهم محمد بن موسى الذي

---

[١]) الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢١٠.

الف رسالة في الجزء وأخرى في ازلية العالم([1]) ومن أشهر الكتب التي نقلها لي العربية كتاب السياسة في تدبير الرئاسة أو سر الأسرار وهو كتاب منحول على أرسطو طاليس و يشتمل على مزيج من القصص وبعض القواعد في السياسة وفي الصحة والتغذية وقيل أن أرسطو أرسل الكتاب إلى الإسكندر المقدوني ونقله إلى العربية يحيى بن البطريق ومن ثم نقل الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي وأكتسبت شهرة واسعة في أوروبة.([2]) وترجم ايضاً كتاب الترياق لجالينوس وكتاب الأربعة لبطليموس ومحاورة طيماوس لأفلاطون فيها والتي يتناول فيها موضوع الطبيعة ونشأة الكون والخالق([3]).

هارون بن موسى النحوي

في سيرة هارون بن موسى الكثير من القصص والأحداث كما أنه في مصادر ترجمة هارون بن موسى القديمة والحديثة وفي القراءات التي جمعها اسئلة وإشكالات تبعث علي النظر والتأمل.

هو هارون بن موسى الأزدي العتكي ويقال له ابو موسى النحوي البصري القارئ الأعور، وكان هارون يهودياً من الموالي ثم شرح الله صدره للإسلام فتعلم العربية ولقى جهداً كبيراً في تعلمها كما قال في ذلك الأصمعي ويبدو أنه امتهن التعليم فكان يسمى بالمعلم ولكن لم تذكر مصادر ترجمته شيئاً عن رحلاته العلمية إلا ما ذكر عن انتقاله إلى بغداد في أواخر عمره ولكن بالنظر إلى أسماء بعض شيوخه يمكن أن نجزم أنه رحل إلى بعض الحواضر الإسلامية مثل الكوفة، مكة ، المدينة وبغداد([4]).

---

[1]) طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٦ ص ٧٤٢.

[2]) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ط٨، ج٣، دار المعارف القاهرة، د.ت) ص ١١٤.

[3]) طرابيشي، معجم الفلاسفة ، ص ٧٤٤.

[4]) المنيع، ناصر محمد ، هارون بن موسى الأعور: منزلته وآثاره في علم القراءات، ط١، دار كنوز اشبيليا، ٢٠٠٩ ص ١٣.

كان هارون بن موسي متواضعاً بعيد عن الشهرة رغم رحلته الطويلة في تحصيل العلوم المختلفة وخاصة علم القراءات وكان صاحب بديهة حاضرة وذهن متقد وقد بره هارون في علوم كثيرة واكتسب مكانة علمية مرموقة في علوم شتى ولعل من أبرزها:

علم الحديث: فقد كان له شأن عظيم في الحديث النبوي سمعاً ورواية وتبوأ فيه مكانة عالية وأثنى عليه من المحدثين اقرانه وتلاميذه واتفقوا جميعاً على توثيقه والاحتجاج بخبره واخراجه في الصحيح.

علوم القرآن والقراءات: فكان لهارون فيها اليد الطولى والجهود البارزة واعترف اقرانه ومعاصريه بتقدمه في هذا العلم وتميزه عن غيره وقد عده ابن قتيبة من اصحاب القراءات [١] وذكره ابن الجزري في طبقات القراء[٢] وكثيراً ممن ترجم له وصفه بالمقرئ أو القارئ فكان هارون ممن أثروا في علم القراءات جمعاً ورواية وتعليماً وتأليفاً .

ومن القراءات التي رواها لنا هارون وحفظها القراءات المروية والمسندة عن النبي والتي لها قيمتها ومكانتها وحجيتها واهتم بها العلماء ورووها ودونوها في كتبهم ومما يعلم ان القراءة المروية عن النبي باسناد صحيح إذا وافقت القراءات المتواترة كان ذلك تأكيداً لها وتأييداً وان كانت من قبيل القراءات الشاذة التي تخالف رسم المصحف فلها أهميتها في التفسير ويحتاج اليها عند الترجيح بين أقوال المفسرين ويكون لها حكم الحدث وخبر الآحاد، ومن هذا المنطلق اعتنى هارون بالقراءات المروية عن النبي فبحث عنها ورواها مع قلتها وغرابة أسانيدها واهتم أيضاً بالقراءات المروية عن صحابة رسول الله وهو في جمعه لم ينتق مدرسة معينة او صحابي واحد

---

[١]) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) المعارف، ط٢، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ ص٥٣٢.

[٢]) الجزري، شمس الدين أبو خير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، ط٢، ج٢، عني بنشره برجستراس، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ص ٣٤٨.

بل نقل كل ما وصل اليه وهو بذلك قد حفظ لنا تراثاً من القراءات يحتاج اليه كل متخصص في العلوم الإسلامية.

وكان هارون شديد العناية بما خطه المسلمون الأوائل من مصاحف يقرأها ويتأملها ويطلع عليها ويروي ما فيها ومن أبرز المصاحف التي نقل لنا ما فيها مصحف ابن أبي كعب ومصحف ابن مسعود ومصحف عثمان بن عفان كما وقد كان له دراية واسعة بتاريخ كتابة المصحف الشريف ومن أعجمه بالنقط أو بالشكل وفي علوم اللغة العربية اثنى عليه الإمام اللغوي الكبير الأصمعي حيث قال: كان ثقة مأموناً ولا شك أن هذه الشهادة من هذا العالم الجليل تدل علي تبحر هارون في علوم العربية مع الثقة والأمانة فيما نقل عن العرب ولغاتها ولهجاتها وقبائلها وكان له عناية خاصة بعلم النحو ولذلك وصفه بالنحوي أغلب من ترجم له كما وذكره المؤلفون في تراجم اللغويين والنحويين حيث ذكره القفطي في أنباء الرواة في أخبار النحاة وأبو البركات ابن الأنباري في نزهة الألباء والسيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة([١]).

---

[١]) المنيع، هارون بن موسى الأعور، ص ١٨-٢٨.

الفصل الرابع : (علاقة المأمون بأهل الذمة وأثر الترجمة في حركة الفكر العربي)

في هذا الفصل سنحاول التركيز على علاقة الخليفة المأمون ببعض أهل الذمة وأيضاً أثر الترجمة في حركة الفكر العربي، فقد نشطت حركة الترجمة عن اللغات الأخرى منذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وكان من أهم هذه الترجمات اطلاع العرب على الفلسفات ومناهج الفكر عند بقية الشعوب، ونحاول هنا أن نحدد مدى استفادة الفكر العربي على نحو فاعل من هذه الترجمات.

علاقة الخليفة المأمون بأهل الذمة

يكتب أحد السريان وهو ماري السرياني الشرقي عن الخليفة المأمون من أنه كان يميل إلى النصارى([1])، بينما يقول ميخائيل السرياني (السرياني الغربي) أن المأمون كان يلعنه الجميع لما أنزل بالناس من صنوف البلاء، ويذكر سرياني آخر هو الرهاوي المجهول أن (الملك المأمون كان عادلاً في أحكامه محباً للسلام رحيماً) ([2])، ويضرب على ذلك مثلاً سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م حيث جاءت المواسم وفيرة وانفرجت الشدة عن الناس : (فأمنت السبل وخيّم السلام على الناس بفضل طيبة الملك المأمون وحلمه، وقد أمر عمّاله بأن يعدلوا في تدبير الرعيّة وأن ينصفوا، وأن يردّوا على من ظُلم من الناس أو نهبت أرضه وماله، وقد أمرهم المأمون بأن يعفوا النصارى من

---

[1]) ماري، ماري بن سليمان النسطوري (ت٥٢٣هـ/١١٢٩م)، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، إكسوريات، روما ١٨٩٩ ص٧٤.

[2]) ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ص٧٥.

إضافة العسكر، وأن لا يظلمهم من العرب أو الفرس أحد، وقد طاب للنصارى العيش في ذلك الزمان، وكانوا يصلّون لله بلا انقطاع سائليه أن يحفظ عليهم حياة المأمون([١]).

حتى أن عمّال المأمون كانوا على شاكلته في التعامل مع النصارى وأهل الذمة، وقد امتدح أحدهم عبد الله بن طاهر([٢]) الذي كان يعتبر أحد أبرز قادة الدولة العباسية آنذاك، ويقال أن عبد الله بن طاهر قد أعان أحد البطاركة واسمه ديونيسيوس على التخلص من منافس دخيل اسمه أبي رام، كما قصد البطريرك ديونيسيوس عبد الله بن طاهر بمصر الذي كان عاملاً عليها سنة ٢١١هـ/٨٢٦م ليتوسط له لدى أخيه محمد الذي راح نائبه يقظان يهدم كنائس الرها ويُكره سكان المدينة على تحرير عبيدهم لكي يدخلوا الإسلام، واكتشف لاحقاً أن المحرّض على هذه التدابير كاتب خلقدوني ملكاني اسمه وليد.

وقد كان على البطريرك ديونيسيوس أن يتدخّل لدى الخليفة نفسه في قضية شكوى يعاقبة بغداد على ليعازر بن شبثا([٣])، ذلك أن الخليفة لسماحة طبعه، أعطى اليهود المنقسمين إذناً يجيز للجماعة الدينية أن تختار رئيسها الديني، ولو لم يتجاوز عدد أفرادها العشرة، وأجاز لهذا المختار الحصول على اعتراف الخليفة به([٤])، وقد وافق على هذا الأمر ليعازر الأسقف ولكنه لم

---

[١]) ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ص١٠-١١.

[٢]) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من " باذغيس " بخراسان " وكان جده الأعلى " زريق " من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات) وولى صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة، ونقل إلى مصر سنة ٢١١هـ/.٨٢٦م فأقام سنة، ونقل إلى الدينور، ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو) وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٨٣.

[٣]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص٣٦٠.

[٤]) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٥، م١، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٠ ص١٩٠.

يوافق على ديونيسيوس البطريرك الذي قال: (وعندما يكثر الرؤساء فينا نضعف ويظهر علينا المسلمون) [١].

لم يشأ الخليفة الذي كان حصيفاً أن يظلم البطريرك الذي جاء ليسلّم عليه بهدايا من أقاصي الأرض، بل أذن لديونيسيوس أن يلحق به حيث كان يتنزّه بالبستان ليعرض قضيّته، وعلى ما يُروى أن ديونيسيوس ناظره مناظرة الند للند، كمن يخاصم صاحبه في قسمة بعض الغنائم، حتى تعجّب الأساقفة والعسكر مما أظهره البطريرك ديونيسيوس من قوة والجرأة كما تعجّبوا من صبر الملك الحليم (الخليفة المأمون) ووعده الخليفة بأن ينظر في قضيته. ثم بعد عشرة أيام ذكّره ديونيسيوس بوعده عن طريق ليعازر المارديني الكاتب اليعقوبي الذي يقف بين يدي الخليفة[٢]، وبعد مشاورة الفقهاء في هذه القضية، أذن المأمون لديونيسيوس بالدخول فما كان من البطريرك إلا أن ألقى على الخليفة خطبة عن البطاركة وسلطاتهم، حتى نبّهه الخليفة قائلاً : (اسمع يا بطريرك وانظر كم نصبر عليك)، وقد أسفر الحوار عن الموافقة على عزل لعازر عن الأسقفية، بيد أن الخليفة لم يأذن للبطريرك (بطرده من الكنيسة ولا بحرمانه من الصلاة) [٣].

ثم أن هناك قضية أخرى عرضها البطريرك وهي أن أمير الموصل قد ظلم اليعاقبة، ونقض كنيستهم ، فلفت الخليفة نظر البطريرك قائلاً : (لا يليق بنا أن ننظر في أمركم) ذلك لأن أمثال هذه الشكاوى كانت من اختصاص ديوان المظالم، ومع ذلك فإن المأمون كان يقدّر شجاعة البطريرك فإنه أمر بأن يُنظر هل أسلم أهل الموصل بلدهم صلحاً للعرب كما يقول البطريرك؟، وهل الذي فتحها كتب لهم عهداً بأن لا تنقض كنيستهم وأن لا تنسخ شرائعهم، فجيء للخليفة بالعهد المطلوب، فأمر المأمون بأن يُكتب بذلك إلى عامل الموصل، وكان ذلك سنة

---

[١] ميخائيل السرياني، ج٣، ص٦٥.

[٢] ميخائيل السرياني، ج٣، ص٧٦.

[٣] ميخائيل السرياني، ج٣، ص٧٧.

٢١٤هـ/٨٢٩م[١]، ويُذكر أن المأمون أبدى تأفّفه وانزعاجه من كثرة الصراعات الداخلية بين النصارى فقال: (لقد والله أسأمتموني وأزعجتموني يا معشر النصارى! ولا سيما أنتم يا معشر اليعاقبة، مع أننا نهمل ما يتظلم به بعضكم من بعض)، وفي سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م حمل ديونيسيوس الهدايا إلى الخليفة المأمون ولحق به بدمشق (حيث رأينا المأمون من قبل ينزل ضيفاً على سبريشوع مطران المشارق من السريان) [٢].

وعند رجوع المأمون لبغداد ساءه أيضاً أن النصارى (اتفق لهم مجاهرة في بغداد بالبغي والفساد على معلمه علي بن حمزة الكسائي[٣]، فلما قرأ عليه المأمون ووصل إلى قوله تعالى: {يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم} [٤] ، قال الكسائي: يا أمير المؤمنين أتقرأ كتاب الله ولا تعمل به؟ فأمر المأمون بإحضار الذمة، فكان عدة من صرف وسجن ألفين وثمان مائة، وبقي جماعة من اليهود منحازين إلى حماية بعض جهاته، فخرج توقيعه بما نسخته: " أخبث الأمم اليهود، وأخبث اليهود السامرة، وأخبث السامرة بنو فلان، فليقطع ما بأسمائهم من ديوان الجيش والخراج ".

ودخل بعض الشعراء على المأمون وفي مجلسه يهودي جالس فأنشده:

يا ابن الذي طاعته في الورى ... وحكمه مفترض واجب

---

[١] ميخائيل السرياني، ج٣، ص٧٨.

[٢] ميخائيل السرياني، ج٣، ص٧٩.

[٣]علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها وتعلم بها وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، له تصانيف، منها " معاني القرآن " و " المصادر " و " الحروف " و " القراءات " و " نوادر " ومختصر في " النحو " و " المتشابه في القرآن (ت١٨٩هـ/٨٠٥م) ابن الجزري، شمس الدين أبو خير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، ط٢، ج١، عني بنشره برجستراس، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥ ص٥٣٥.

[٤] سورة المائدة، آية ٥١.

إن الذي عظمت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

فقال له المأمون: أصحيح ما يقول؟ قال: نعم، فأمر بقتله[1].

وأخيراً وليس آخراً نذكر علاقة الخليفة المأمون مع يزدان بخت رئيس الطائفة المانوية حيث أن الخليفة المأمون دعا إلى بغداد كل من بدار الإسلام من رؤساء الملل ليناظروا علماء المسلمين، وكان ممن أتى من هؤلاء يزدان بخت الذي قدم من الري إلى بغداد، وإذ أفحمه علماء المسلمين فقد دعاه الخليفة إلى الإسلام، فلما ترفّق في الرفض لم يشأ الخليفة إجباره، بل بعث معه من يحرسه من سوء معاملة العامة[2].

أهم العلوم المترجمة

في البداية من هذا الفصل سأحاول إلقاء الضوء على أبرز العلوم التي ترجمت في هذه الفترة، لا أعني بالضرورة أنها ترجمت في عهد الخليفة المأمون فقط، بل إنها إما تكون قد سبقت عهد أو جاءت بعده، ومن أهم هذه العلوم **علم الطب**، يقول ابن خلدون في مقدمته: (هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم، واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة») ([3])، لذا فقد اهتم

---

[1] ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) أحكام أهل الذمة، ط١، ج١، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، السعودية ١٩٩٧ ص٤٦٥-٤٦٦.

[2] ابن طرار، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ط١، عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ ص٥١٩. ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٨.

[3]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج١، ص٥٢٠-٥٢١.

المترجمون بعلم الطب اهتماماً خاصاً، ويكفينا للدلالة على أهمية هذا العلم كتاب ابن أبي أصيبعة المعروف ب(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اليعاقبة والنساطرة هم أكثر من اهتم بعلم الطب([1]).

علم الهيئة (الفلك) يقول ابن خلدون : (وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمحركة والمتحيرة. ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الأفلاك للكوكب الواحد بتعداد الميول له وأمثال ذلك) ([2])، ومن أشهر من برع في هذا العلم توفيل بن توما الرهاوي رئيس منجمي الخليفة المهدي الذي مات قبل الخليفة بعشرين يوماً([3]).

علم الكيمياء يقول ابن خلدون : (وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن، ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل مثل حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها بالتكليس وإمهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك، وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم

---

[1]) شطي، شوكت، في تاريخ الطب، دمشق د.ن) ١٩٥٢ ص٧٣.

[2]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج١، ص٦٤١.

[3]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٢٧.

طبيعي يسمونه الإكسير) ([1])، ويذكر ابن النديم اصطفن الراهب هذا الرجل كان بالموصل في عمر يقال له ميخائيل وكان يحكى عنه أنه عمل الكيمياء فلما مات ظهرت كتبه بالموصل وأهمها كتاب الرشد وكتاب الباب الأعظم وكتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء وكتاب الاختيار النجومي للصناعة وكتاب التعليقات وكتاب الأوقات والأزمنة([2]).

علم الأدوية والعقاقير، وقد تحقق للغرب الأوروبي أن العرب لهم الفضل في دعم أسس هذا العلم، وأنهم أول من اشتغل في تحضير الأدوية والعقاقير فضلاً عما استنبطوه من الأدوية الجديدة، وأنهم أول من حثّ على نقل الاقراباذين إلى لغتهم، ويذكر في هذا المقام اقراباذين ألّفه سابور بن سهل (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) ([3]) حتى ظهر اقراباذين أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م) ([4]) وهو أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على الصورة ومن الشواهد

---

[1]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج١، ص٦٩٥.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٤٤٠.

[3]) سابور بن سهل طبيب مقدم، كان صاحب بيمارستان جنديسابور بفارس) له تصانيف، منها كتاب الأقراباذين) و قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها) و الرد على حنين) و القول في النوم واليقظة). الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٦٩.

[4]) هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم، أبو الحسن، أمين الدولة المعروف بابن التلميذ: حكيم، عالم بالطب والأدب، مولده ووفاته ببغداد، عمر طويلاً، وخدم الخلفاء من بني العباس، وانتهت إليه رياسة الأطباء في العراق. وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية. وتولى البيمارستان العضدي إلى أن توفي، وكان رئيس النصارى ببغداد وقسيسهم، من كتبه: " حاشية على القانون لابن سينا " و " حاشية على المنهاج لابن جزلة " و " شرح مسائل حنين " و " شرح أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية " و " الكناش في الطب " و " الموجز البيمارستاني " ثلاثة عشر باباً، و " المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية " و " مقالة في الفصد " و " مقالة في أصول التشريع عند المسيحيين" و " اختيار كتاب الحاوي لحنين " و " اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط " و " ديوان رسائل " في مجلد ضخم، اطلع عليه ابن أبي أصيبعة، و " ديوان شعر " صغير وأشهر كتبه " الأقرباذين. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٧١-٧٢.

على ذلك أسماء العقاقير التي أخذها الفرنج عن العرب ولا تزال بأسمائها الأصلية السريانية واليونانية والفارسية والهندية كما أخذها العلماء([1]).

الرياضيات : إن الشعوب العربية القديمة كان مجهودها قليلاً في الرياضيات، فلم تكن تعرف إلا المبادئ فالحساب كان متقدماً عند الهنود من الناحية الفعلية، وكان يسمى عند اليونان الأرثماطيقي وعرف المصريون القدماء مبادئ الجبر، ولكن يرجع الفضل للعرب في تقدم العلوم الرياضية بحيث أسهموا فيها بفروعها المتنوعة، فهم الذين نقلوا للعالم المتحضر طريقة الحساب بالأرقام وهي طريقة العد المعروفة الآن، ويُقال أنهم نقلوها من الهنود الذين أخذوا الصفر من الدائرة والواحد من الخط المستقيم، أما قبل ذلك فكانوا يستخدمون الحروف في العد وإن أوروبا لم تعرف العد في الأرقام إلا من خلال العرب وذلك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويدل على لك اشتقاق الكلمات الأوروبية من صفر العربية([2]).

وقد أرسل الخليفة المأمون بعثة لبلاد الروم ببيزنطة بحثاً عن المخطوطات اليونانية كان من أعضائها الحجاج بن مطر ويوحنا بن بطريق، كما أرسل بنو شاكر (محمد وأحمد والحسن) بعثة من أبرز أعضائها حنين بن اسحق لتحصيل مخطوطات من بلاد الروم فجلبوا من هناك " طرائف الكتب وغرائب المصنفات في الأرثماطيقي([3])، وتقدم العرب في الحساب خطوات واسعة فأضافوا إلى معلومات اليونان من النظريات التي لم تعرفها أوروبا من قبل كما علّموا الأوروبيين نظام الأعداد الهندي الذي يمثّل ثورة شاملة في الحساب، ويتضح لنا تسهيل هذا النظام العددي

---

[1]) فروخ، عمر، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، ط٣، بيروت ١٩٦٩ ص٩٧.

[2]) ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، ج٣، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٧٣ ص٢٢٠.

[3]) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥ ص٨.

للعمليات الحسابية إذا قارنّا بينه وبين النظام العددي الروماني، فنظام الأعداد الجديد الذي عرفته أوروبا عن العرب يكن فيه أن تتغير قيمة الواحد حسب وضعه في خانة الآحاد، أو العشرات أو الآلاف أو الملايين في حين أن قيمة الرقم لا تتغير في النظام الروماني بتغير حقيقته، أن الأعداد الجديدة المستخدمة حالياً في الغرب ليست من اختراع الغرب إذ المرجع أنها هندية الأصل، كما أشار العرب أنفسهم وكما يتضح في طريقة كتابتها من اليسار لليمين([1]).

ثم إنه لا بد من ذكر أبرز وأهم الكتب التي ترجمت ونقلت إلى اللغة العربية دون إسهاب ممل وهي على النحو التالي :

تم نقلها وترجمتها إلى العربية([2]):

- كتاب السياسة نقله حنين بن إسحاق([3])
- كتاب المناسبات نقله يحيى بن عدي
- كتاب النواميس نقله حنين ويحيى([4])
- كتاب طيماوس نقله ابن البطريق وأصلحه حنين([5])
- كتاب أفلاطن إلى أقرطن نقله يحيى بن عدي
- كتاب التوحيد نقله يحيى بن عدي([6])

---

[1]) الكروي، إبراهيم سلمان، وعبد التواب شرف الدين، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧ ص٣٣٦-٣٣٧.

[2]) الرفاعي، عصر المأمون، ص٣٦٢-٣٦٤.

[3]) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الأدباء، ط١، ج١، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣ ص٢٩٢.

[4]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٢١.

[5]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٢١.

[6]) المصدر نفسه، ص٢١.

- كتاب الحس واللذة نقله يحيى بن عدي([1])
- كتاب أصول الهندسة نقله قسطا بن لوقا([2])
- قاطيغورياس المقولات نقله حنين بن إسحاق([3])
- كتاب العبارة نقله حنين بن إسحاق إلى السريانية وإسحاق إلى العربية([4])
- تحليل القياس نقله ثيادورس وأصلحه حنين([5])
- كتاب البرهان نقله إسحاق إلى السرياني ومتى إلى العربي([6])
- كتاب الجدل نقله إسحاق إلى السرياني ويحيى إلى العربي([7])
- كتاب المغالطات أو الحكمة المموهة نقله ابن ناعمة وأبو بشر إلى السرياني ويحيى إلى العربي.
- كتاب الخطابة نقله إسحاق وإبراهيم بن عبد الله([8])
- كتاب الشعر نقله أبو بشر من السرياني إلى العربي([9])
- كتاب السماع الطبيعي نقله أبو روح الصابي وحنين ويحيى وقسطا وابن ناعمة([10])

---

[1]) المصدر نفسه، ص٢١.

[2]) المصدر نفسه، ص١٩٩.

[3]) المصدر نفسه، ص٣٣.

[4]) المصدر نفسه، ص٣٤.

[5]) المصدر نفسه، ص٣٤.

[6]) المصدر نفسه، ص٣٤.

[7]) المصدر نفسه، ص٣٣.

[8]) ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص١٠٦.

[9]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٣٧.

[10]) المصدر نفسه، ص٣٧.

- كتاب السماء والعالم نقله ابن البطريق وأًصلحه حنين([1])
- كتاب الكون والفساد نقله حنين إلى السرياني وإسحاق والدمشقي إلى العربي([2])
- كتاب الآثار العلوية نقله أبو بشر ويحيى([3])
- كتاب النفس نقله حنين إلى السرياني وإسحاق إلى العربي([4])
- كتاب الحس والمحسوس نقله أبو بشر متى بن يونس([5])
- كتاب الحيوان نقله ابن البطريق([6])
- كتاب الحروف أو الإلهيات نقله إسحاق ويحيى وحنين ومتى([7])
- كتاب الأخلاق نقله إسحاق([8])
- كتاب المرآة نقله الحجاج بن مطر([9])
- كتاب أثولوجيا نقله الحجاج بن مطر([10])
- كتاب ما يعتقده رأيًا ترجمه ثابت([11])
- كتاب تعريف المرء عيوب نفسه نقله توما وأصلحه حنين([1])

---

[1]) المصدر نفسه، ص٣٧.

[2]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[3]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[4]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[5]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[6]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[7]) المصدر نفسه، ص٣٨.

[8]) المصدر نفسه، ص٣٩.

[9]) المصدر نفسه، ص٣٩.

[10]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٣٩.

[11]) المصدر نفسه، ص١٠٥.

- كتاب المحرك الأول لا يتحرك نقله حبيش وعيسى([2]).

وتم نقل العشرات من كتب الطب وفروعه من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ومنها على سبيل المثال لا الحصر([3]):

- كتاب أبيذيميا نقله عيسى بن يحيى([4])
- كتاب اختلاف التشريح نقله حبيش الأعسم([5])
- كتاب الأخلاط نقله عيسى بن يحيى لأحمد بن موسى([6])
- كتاب الامتلاء نقله أصطفان وأصلحه حنين([7])
- كتاب الأمراض الحادة نقله عيسى بن يحيى([8])
- كتاب التشريح الكبير نقله حبيش الأعسم([9])
- كتاب الحاجة إلى النفس نقله أصطفان وأصلحه حنين([10])
- كتاب الحث على تعليم الطب نقله حبيش الأعسم([11])
- كتاب الحركة المجهولة نقله حنين([1])

---

[1]) المصدر نفسه، ص١٠٥.

[2]) المصدر نفسه، ص١٠٥.

[3]) الرفاعي، عصر المأمون، ص٣٦٥-٣٦٦.

[4]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٧٧.

[5]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٠٤.

[6]) المصدر نفسه، ص٧٧.

[7]) المصدر نفسه، ص١٠٤.

[8]) المصدر نفسه، ص٧٧.

[9]) المصدر نفسه، ص١٠٤.

[10]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٠٤.

[11]) المصدر نفسه، ص٩٤.

- كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة نقله حبيش الأعسم[2]
- كتاب الرياضة بالكرة الكبيرة نقله حبيش الأعسم
- كتاب الفصول نقله حنين لمحمد بن موسى
- كتاب الكسر نقله حنين لمحمد بن موسى[3]
- كتاب الماء والهواء نقله حنين وحبيش[4]
- كتاب المرة السوداء نقله أصطفان وأصلحه حنين[5]
- كتاب تركيب الأدوية نقله حبيش الأعسم[6]
- كتاب تقدمة المعرفة نقله حنين وعيسى بن يحيى[7]
- كتاب حركات الصدر نقله أصطفان وأصلحه حنين[8]
- كتاب حركة العضل نقله أصطفان وأصلحه حنين[9]
- كتاب طبيعة الإنسان نقله حنين وعيسى[10]
- كتاب الصوت نقله حنين[11]

---

[1]) المصدر نفسه، ص١٠٤.
[2]) المصدر نفسه، ص١٠٥.
[3]) المصدر نفسه، ص٧٧.
[4]) المصدر نفسه، ص٧٧.
[5]) المصدر نفسه، ص١٠٥.
[6]) المصدر نفسه، ص١٠٥.
[7]) المصدر نفسه، ص١٠٥.
[8]) المصدر نفسه، ص١٠٤.
[9]) ابن القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٠٤.
[10]) المصدر نفسه، ص٧٧.
[11]) المصدر نفسه، ص١٠٤.

- كتاب علل النفس نقله أصطفان وأصلحه حنين([1])
- كتاب قوى النفس ومزاج البدن نقله حبيش الأعسم([2])
- كتاب منافع الأعضاء نقله حبيش الأعسم([3])

ما من شك بأن حضارة أمة ناهضة تريد لنفسها الاستمرار فإنها لا تقوم بمعزل عن الحضارات السالفة، ومن شأنها أن تفيد من علومها وثقافتها، وقد تنبه ابن خلدون إلى هذه الناحية فقال: (واعلم أنّ أكثر من عني بها في الأجيال الّذين عرفنا أخبارهم الأمّتان العظيمتان في الدّولة قبل الإسلام وهما فارس والرّوم فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدّولة والسّلطان قبل الإسلام وعصره لهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم، وكان للكلدانيّين ومن قبلهم من السّريانيّين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسّحر والنّجامة وما يتبعها من الطّلاسم وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان فاختصّ بها القبط وطمى بحرها فيهم كما وقع في المتلوّ من خبر هاروت وماروت وشأن السّحرة وما نقله أهل العلم من شأن البراريّ بصعيد مصر) ([4]).

ويدل هذا الكلام على أن الحضارتين الرومانية والفارسية إنما قامتا على نتاج حضارات الكلدانيين والسريان، ويؤكد ذلك قول ابن النديم إذ ذكر كثيراً من الروايات حول غزو الاسكندر الأكبر لبلاد الشرق فاستولى على كتبهم ومؤلفاتهم : (خرج الإسكندر ملك اليونانيين غازياً أرض

---

[1]) المصدر نفسه، ص١٠٤.

[2]) المصدر نفسه، ص١٠٥.

[3]) المصدر نفسه، ص١٠٤.

[4]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط١، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ ص٦٣١.

فارس من مدينة للروم يقال لها مقدونية عند الذي كان من إنكاره الفدية التي لم تزل جارية على أهل بابل ومملكة فارس وقتله دارا بن دار الملك واستيلائه على ملكه وهدمه المدائن واخرابه المجادل المبنية بالشياطين والجبابرة واهلاكه ما كان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشا مكتوبا في صخور ذلك وخشبه بهدم ذلك واحراقه وتفريق مؤتلفه ونسخ ما كان مجموعا من ذلك في الدواوين والخزائن بمدينة اصطخر وقلبه إلى اللسان الرومي والقبطي) ([1])، ولما انقضى عهد الاسكندر وانقضى سلطانه عن الشرق عاد ملوك فارس للاستيلاء على مدينة بابل ونقل ما تبقى من علومها للغة الفارسية : (ولم يزل ملك بابل منتشرا ضعيفا فاسدا ولم يزل أهله مقهورين مغلوبين لا يمنعون حريما ولا يدفعون ضيما إلى ان ملك اردشير بن بابك من نسل ساسان فألف مختلفهم وجمع متفرقهم وقهر عدوهم واستولى على بلادهم واجتمع له أمرهم وأذهب عصبيتهم واستقام له ملكهم فبعث إلى بلاد الهند والصين في الكتب التي كانت قبلهم وإلى الروم ونسخ ما كان سقط إليهم وتتبع بقايا يسيرة بقيت بالعراق فجمع منها ما كان متفرقا وألف منها ما كان متبايناً) ([2])، وقد اطّلع المسلمون على هذه العلوم التي جمعها الفرس أثناء الفتوح، ويقول ابن خلدون أنه لما فتحت فارس وجد المسلمون فيها كتباً كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يسأله بنقلها فأمره عمر أن يطرحها في الماء وقال : (فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله) ([3]).

أما أبرز الترجمات عن الأمم السابقة فكانت كما يلي:

١- اليونانية : لقد كانت سورية وبلاد الشام بحكم موقعهما القريب من البلاد اليونانية على اتصال مباشر مع هذه الثقافة، فكانت سورية مليئة بالأديرة التي تعنى

---

[1]) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٦.

[2]) ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٦-٢٩٧.

[3]) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان، ج١، ص٦٣١.

بنشر الثقافة اليونانية، وفي بلاد الرافدين ازدهرت مدينة حرّان، وكان إلى جانبها مدينة جنديسابور بخوزستان التي أنشأ فيها كسرى أنوشروان سنة ٥٣١م مدرسة عنيت بالطب والفلسفة اليونانية([1]).

وأشار مجموعة من الباحثين إلى مدرسة أخرى أسهمت في نقل العلوم اليونانية وهي مدرسة الاسكندرية يقول أحدهم : (من المؤكد أن مدرسة الاسكندرية كانت لا تزال قائمة وقت أن فتح العرب مصر، فكانت المدرسة اليونانية الوحيدة في البلاد التي دخلها العرب في دفعتهم الأولى، ومن المحتمل بأنها لا بد أن تكون قد قامت بدورها في نقل العلوم إلى العرب) ([2])، وذكر ابن أبي أصيبعة أن الاسكندرانيين رتبوا دار العلم بالاسكندرية، ونظموا مجالس الدرس الطبي، وكانوا يقرأون كتب جالينوس ويرتبونها ويضعون لها تفاسير ويختصرونها لتسهيلها على القراء حفظاً وحملاً في الأسفار، وأول من رتّب هذه المؤلفات إسحق بن حنين وجاسيوس وأنقيلاؤوس ومارينوس فهؤلاء أعمدة الطب والمنطق والفلسفة، وهناك سرجيوس ويوحنا والطبيب ايتيوس وهؤلاء تخرجوا في القرن السادس الميلادي، أما في القرن السابع فقد تخرج يونس الاجانيطي وأهرون وكان لمؤلفاتهما أثر واضح في مؤلفات الأطباء المسلمين([3]).

وجمعت كتب الطب في الإسكندرية فكان لجالينوس منها ستة عشر كتاباً ([4])، وقد ترجمت هذه الكتب على يد حنين وتلامذته من اليونانية إلى السريانية والعربية([1])، وانتقل التعليم بعد ذلك

---

[1]) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ط١، ج٤، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، دار المعارف، مصر د. ت) ص٧٩.

[2]) مجموعة من الباحثين، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة بدوي، مكتبة النهضة، مصر ١٩٤٦ ص٣٧.

[3]) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥١٠.

[4]) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥١٠.

من الإسكندرية إلى أنطاكيه، وبقي فيها طويلاً إلى أن بقي فيها معلم واحد، ثم تعلم منه رجلان كان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو، وتعلم من المروزي رجلان أحدهما اسمه إبراهيم المروزي والآخر اسمه يوحنا بن حيلان، وتعلم من الحراني إسرائيل الأسقف، وكان الفارابي ممن أخذ العلم عن يوحنا بن حيلان في أيام المقتدر ببغداد([٢]).

ولم يستمر التعليم في أنطاكيه بعد الفتح الإسلامي (١٧هـ/٦٣٨م) وذلك لأنها كانت منطقة ثغرية وذات وضع قلق بين الدولة الإسلامية والروم البيزنطيين، وهذا الوضع جعل أعلامها ينتقلون إلى حران، هذه الحواضر احتضنت العلوم اليونانية في البداية ثم أسهمت في نقلها للعربية، ولكن حركة الترجمة المنتظمة من اليونانية إلى العربية لم تبلغ أوجها إلا في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وتحديداً في عصر المأمون.

أما عن بدء حركة النقل والترجمة فترجع إلى كما يذكر ابن النديم إلى العصر الأموي حيث أحب خالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل مروان نقل كتب الصنعة (الكيمياء) إلى العربية، فأحضر جماعة من الفلاسفة ممن سكنوا مصر وتكلموا اليونانية والعربية وأمرهم بنقل كتب الصنعة، وهذا أول نقل حدث في الإسلام([٣]).

ولكن الترجمة بلغت مداها في العصر العباسي في فترة المأمون في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي الذي عدّه الدارسون عصر المترجمين، وقد عرف عن المأمون أنه كان عنده حب وميل لكتب الفلسفة كما يروي ابن النديم فقد رأى حلماً :" أن المأمون رأى في منامه كان رجلاً أبيض اللون مشرباً بحمرة واسع الجبهة مقرون الحاجبين أجلح الرأس، أشهل العينين

---

[١]) مجموعة من الباحثين، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة بدوي، مكتبة النهضة، مصر ١٩٤٦ ص٤٣.

[٢]) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص٦٠٥.

[٣]) ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٠.

حسن الشمائل جالس على سريره قال المأمون: كأني بين يديه قد ملئت هيبة، فقلت من أنت؟ قال: أنا أرسطو طاليس فحمدت به وقلت أيها الحكيم أسألك قال: سل: قلت ما الحسن قال: ما حسن في العقل قلت ثم ماذا؟ قال ما حسن في الشرع قلت ثم ماذا؟ قال ما حسن عند الجمهور قلت: ثم ماذا؟ ثم لا ثم[١].

يذكر ابن النديم أن هذا الحلم من أوكد الأسباب التي دعت المأمون إلى ترجمة الكتب اليونانية، فبعث إلى ملك الروم يسأله في إنقاذ ما يختاره من العلوم، فأجابه بعد امتناع، فأخرج المأمون بعد ذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق فنقلوا ما اختاره إلى العربية[٢].

هذا في الكتب اليونانية أما في الفارسية فيرجع بعض الباحثين النقل عن الفارسية إلى العربية في العهد العباسي لأن منصب الوزارة تقلده العديد من الفرس، فعمل الوزارة استلزم عملاً كتابياً، لذلك اتخذ الوزراء كتّاباً من الفرس، يعينونهم على الكتابة، فكان لكل وزير كاتب، فحماد عجرد كان كاتب يحيى بن محمد، وابن المقفع كان كاتباً لابن هبيرة[٣].

وطبيعة الكتابة استلزمت كثيراً من النظم التي نقلها الكتّاب من لغتهم الأصلية، وأحوجهم إلى ذلك معرفة العربية نحواً وصرفاً وبلاغةً، واقتضى معرفةً بأيام العرب وتاريخها، لهذا كثرت المؤلفات العربية التي تعين المترجمين على إخراج ترجماتهم بلسان عربي[٤]، وهناك أمثلة كثيرة على هذه الكتب أهمها أدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب للصولي، والكتاب لدرستويه.

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٠١.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٠١.

[٣] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج٢، ص١٦٤.

[٤] المرجع نفسه، ج٢، ص١٦٤.

ثم بعد ذلك توسع مجال النقل عن الفارسية خاصةً أن الفرس جمعوا كتباً كثيرة واهتموا بتخزينها، فيذكر ابن النديم أن الفرس أخذوا شيئاً من علوم الهند مثل علم الفلك واستولوا على ما بقي من الكتب في بابل بعد أن نهبها الإسكندر، وقد بنوا لهذه الكتب المستودعات وحرصوا على بقائها أمد الدهر: (اختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث وأبقاها على الدهر وأبعدها من التعفن والدروس لحاء شجر الخدنك ولحاؤه يسمى التوز وبهم اقتدوا أهل الهند الصيني ومن يليهم من الأمم في ذلك واختاروها أيضا لقسيهم التي يرمون عنها لصلابتها وملاستها وبقائها على القسي غابر الأيام فلما حصلوا لمستودع علومهم أجود ما وجدوه في العالم من المكاتب طلبوا لها من بقاع الأرض وبلدان الأقاليم أصحها تربة وأقلها عفونة وأبعدها من الزلازل والخسوف وأهلكها طيناً وأبقاها على الدهر بناء فانتفضوا بلاد المملكة وبقاعها فلم يجدوا تحت أديم السماء بلدا أجمع لهذه الأوصاف من أصفهان ثم فتشوا عن بقاع هذا البلد فلم يجدوا فيها أفضل من رستاق جي ولا وجدوا في رستاق جي أجمع لما راموه من الموضع الذي اختط من بعد فيه بدهر داهر مدينة جي فجاؤوا إلى قهندز هو داخل مدينة جي فأودعوه علومهم) [1].

وإن أكثر من شجّع الترجمة عن الفارسية في العهد العباسي هم البرامكة وعلى رأسهم آل نوبخت ففي هذا العهد نقل ابن المقفع (كليلة ودمنة)، ونقل اسحق بن يزيد (حداد نامه) [2]، واشتهر أيضاً البلاذري كمترجم بارع عن الفارسية ومن أشهر ما ترجمه كتاب (عهد أردشير) [3]، وذكر الجاحظ أن يحيى بن خالد البرمكي اجتلب بعض أطباء الهند منهم منكه الهندي،

---

[1] ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٧.

[2] المصدر نفسه، ص٣٠٣.

[3] الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٦٧.

وبازيكر، وقلبرقل وسندباد[1]، أما المترجمون فكان منهم ابن دهن الهندي الذي عيّنه البرامكة وكيلاً لأحد البيمارستانات[2].

أثر الترجمة على الفكر

لقد أغنت هذه الترجمات طرق التفكير عند العرب إلى حد بعيد، ووسعت من آفاق العقل، ففي ضوء الترجمة والاطلاع على ثقافات الأمم أصبح العصر العباسي عصر تحضير وفكر ونظر وبحث، وكان من شأن اللقاء المستمر بين الثقافة العربية والمترجمة أن وجد نوع من التفاعل المثمر بدا بوضوح عند علماء الكلام وقد بلغوا مستوىً رفيعاً من دقة التفكير وتطور وسائل البحث.

ولكن الثقافات المترجم لم تغير مجرى الفكر العربي عن أصوله وإن كانت قد أثّرت فيه، وقد انحسر هذا التأثير في صورة الفكر دون محتواه، يقول الباحث في الأدب شوقي ضيف : (إذا حاول باحث أن يتعرف على الحياة العقلية في العصر العباسي مثلاً مما ترجم العرب كانت محاولته غير مجدية كثيراً، لأنه لا يتبين هذه الحياة في اقتراح عربي، وإنما يتبينها في صورة مترجمة، وكان عليه أن يتبينها في صورة التفكير ومن داخله، ولعل الترجمات لم تغيّر كثيراً في أصوله وفكره وقواعد عقله) [3].

لقد أثرت هذه العلوم على الفكر العربي من ناحيتين:

أولاً: تطور ذاتي زمني أصاب العقل من الداخل، وكان هذا التطور نتيجة استقرار العرب في الأمصار كدمشق والكوفة وغيرهما، وبعد أن توقفت حروب الفتوح في نهاية الحكم الأموي وعمّ

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٩٥.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص٣٠١.

[3] ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٣٢٩.

الرخاء والأمن، أصبحت الحاجة ملحّة إلى البحث والتحصيل والمعرفة، ويضاف لذلك نمو الشعور القومي في أوائل العصر العباسي لدى العرب بعد أن بدأ خطر الطمس الثقافي بل التجاهل الحضاري يشنّه الشعوبيون على العرب، ولهذا سارع العرب على لإحياء تراثهم الأدبي واللغوي، ونشطت الأبحاث الدينية فكانت هذه الجهود هدفها في الأصل الحفاظ على أصالة الأمة أمام الشعور بالأخطار الخارجية، وبهذا النشاط نكونت نواة الفكر التي ارتكزت على دعامتين أساسيتين : هما النهوض بالعلوم الدينية كالتفسير والفقه وعلوم الحديث وغيرها، والحفاظ على التراث الأصيل المتمثل باللغة والشعر والسير والمغازي.

ثانياً: تطور خارجي مصدره الترجمة وما حملته من ثقافات أجنبية، وكان أبرزها الفلسفة اليونانية، التي انحسر أثرها في صورة الفكر دون جوهره للأسباب التالية:

١- اعتماد الفلسفة اليونانية على البحث العقلي المجرد إذ العقل فيها مقياس لذاته، وهو سند يقيني لا حاجة لإقامة الدليل على صحة أحكامه، وهذا الاتجاه عرف منذ عهد أرسطو الذي جعل هذا المبدأ عمدةً لنظريته في العقل فأخضع الطبيعة إلى مبدأين هما العادة والعلة وطبقهما على النفس، فكان عنده عقل ما يقدر أن يصبح كل شيء، وعقل آخر قادر على إحداث الأشياء، فصار العقل الأول هو مادة والثاني علة[١].

٢- الفلسفة اليونانية علم يبحث في قوانين الوجود مثل الطبيعة والمجتمع فمن خصائصها الوحدة والشمول والذاتية المطلقة والاستقلال التام عن الأشياء بينما تنكر الروح الإسلامية الذات وتقوم على الروح الجماعية، وتخضع خضوعاً مباشراً

---

[١] ابن النديم، الفهرست، ص٥٠٣.

للطبيعة الخارجية، وتدعو إلى صهر الذات بالمجموع ولهذا نفى كثير من الباحثين وجود فلسفة إسلامية مستقلة في ذاتها، لأن الفلسفة من هذا الجانب تنافي روح العقيدة، يقول بدوي : (الفلسفة منافية لروح الطبيعة الإسلامية لهذا لم يقدّر لهذه الروح أن تنتج فلسفة) [١] والأصح أن المسلمين لم يأخذوا بروح الفلسفة اليونانية وإنما أفادوا من منهجها وأسلوبها وهي تلك المناهج والأساليب التي أخذها المتكلمون واستخدمها المجادلون، وأما الأخذ بروح الفلسفة فقد كان يواجه معارضة بالغة، وما الغزالي إلا ممن سفّهوا آراء الفلاسفة في كتابه (تهافت الفلاسفة) وتصدى لحججهم، وهذا النفور من الأخذ بروح الفلسفة والكلام وجد منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أي أنه صاحب عملية النقل والترجمة، يقول ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب: (ولقد بلغني أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجَهْم البرمكيَّ أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة لطيفة، فقال لهم: ما معنى قول الحكيم: " أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة "؟ فسألوه التأويل، فقال لهم: مَثَّلُ هذا رجل قال: " إنِّي صانع لنفسي كِنًّا " فوقعت فكرته على السقف، ثمَّ انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط، وأن الحائط لا يقوم إلا على أُسّ، وأن الأُسَّ لا يقوم إلا على أصل، ثمَّ ابتدأ في العمل بالأصل، ثمَّ بالأسِّ، ثمَّ بالحائط، ثمَّ بالسقف؛ فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته؛ فأية منفعةٍ في هذه المسألة؟ وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهائلة، وهكذا جميع ما في هذا الكتاب؛ ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه

---

[١] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨١ ص٥٨.

والفرائض والنحو لعدَّ نفسه من البُكْمِ، أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفَصْلَ الخطاب) [١].

أهمية الترجمة في إنقاذ التراث العلمي القديم:

لقد كان أهم هذه الدوافع وأخطرها هو ما جرى للعلوم من تهميش للفترة السابقة للإسلام من قبل الأمم التي كانت تدير دفة العلم الحضارية وتهيمن على المنطقة، فقد أخفيت المخطوطات والكتب اليونانية المهمة في أروقة الكنائس ودهاليز الأديرة لاعتبارات دينية خلافية بين أتباع المذاهب المسيحية المختلفة، وقد وصل الأمر إلى حد محاربة العلوم الفلسفية، فدمرت المدارس وهجرت، وتنقل العلماء بعلومهم من مدرسة إلى أخرى، هرباً بعلومهم حتى أن الأباطرة أنفسهم وهم يمثلون رأس الدولة كانوا يضطهدون العلماء كما فعل الامبراطور جستنيان مع علماء أثينا الذين أرغمهم على الهجرة إلى الشرق[٢]، وعليه فقد ساد المنطقة فراغ علمي يحتاج إلى من يملؤه، ولما طالت هذه الفترة فقد تعرضت هذه المخطوطات للتلف وتراكم عليها غبار الزمن، وترجم بعضها إلى اللغة السريانية بدوافع دينية محضة فلم تخلُ من التحريف والتصحيف، فكانت العلوم الطبية بحاجة إلى منقذ يخلصها من هذا الأسر، ويدفع بعجلتها إلى الأمام وينشرها بين الناس حتى تعم فائدتها على الجميع، وهو ما قام به العرب نحو هذا الإرث الإنساني.

لا شك أن الترجمة أفادت حركة التفكير إفادة كبيرة، وتمكن العقل العربي من خلالها الاطلاع على حضارات الأمم التي قدر مشترك بين الناس جميعاً، ترث كل أمة ناهضة ما وصلت إليه

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) أدب الكاتب، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢ ص٨-٩.

[٢] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١، ص٢٥٩.

الأمم السابقة، ثم تتابع خط التطور والتقدم فتبلغ الإنسانية في النهاية تلك الحصيلة التي انتهت إليها اليوم، مع الحفاظ على التميز الحضاري للأمة الواحدة، كما حدث بالضبط في مسيرة الحضارة الإسلامية، التي حافظت على صبغتها الخاصة ولم يمنعها ذلك من أن تأخذ نصيباً كثر أو قل من حضارات غيرها.

الخاتمة

ظهرت عملية النقل والترجمة كأهم صلة بين الأمم والحضارات المتعاقبة، فالترجمة هي التي أحيت علوم أمم كانت قد قاربت على الاندثار، وإذا كان العصر العباسي أفضل العصور الإسلامية في عملية النقل والترجمة فإن عصر الخليفة المأمون هو العصر الذهبي لهذا الأمر.

من خلال دراستنا لدور أهل الذمة في عملية الترجمة في عهد المأمون نخلص لما يلي:

- تولى المأمون الخلافة في فترة عصيبة وبعد صراع مرير استمر لما يقرب من خمس سنوات.
- كان أهل الذمة وبالتحديد النصارى هم أصحاب سبق في عملية الترجمة لأن الرهبان كانوا معتادين على قراءة النصوص السريانية ونسخها.
- كثرت الأديرة في مناطق العراق في الدولة العباسية ولكثرتها ظهرت كتب الديارات.
- قام المأمون بتقريب مجموعة من علماء أهل الذمة وأعطاهم امتيازات واسعة وشجّعهم على النقل والترجمة.
- ازدهرت عملية الترجمة في الفترة المذكورة وترافقت مع ازدهار واضح لعلم الطب والرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها من العلوم التطبيقية.
- ظهرت في هذه الفترة ثلّة من العلماء تميزت بإنتاج علمي ضخم ومن أهم هؤلاء حنين بن اسحاق العبادي وابنه إسحاق بن حنين وحبيش بن الأعصم ويوحنا بن ماسويه وابن ربن الطبري وسهل بن سابور وغيرهم الكثير.

- أفادت الترجمة حركة التفكير إفادة كبيرة، وتمكن العقل العربي من خلالها الاطلاع على حضارات الأمم التي قدر مشترك بين الناس جميعاً

قائمة المصادر

١. الاتليدي، محمد دياب (ت١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ .

٢. ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج٥، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧.

٣. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م) النهاية في غريب الحديث والأثر، ط١، ج٢، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٧٩ .

٤. الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩ .

٥. الأصبهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م) مقاتل الطالبيين، ط١، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٠ .

٦. ===، الأغاني، ط١، ج٢، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥ .

٧. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) تاريخ الأنطاكي، حققه ووضع فهارسه، عبد السلام تدمري، مطبعة جروس برس، ١٩٩٠ .

٨. الأندلسي، أحمد بن عبد ربه (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) العقد الفريد، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢.

٩. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) صحيح البخاري، رتب كتبه وأبوابه وفقاً للمعجم المفهرس محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار ابن أبي الأرقم للطباعة، بيروت ١٩٩٥ .

١٠. البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، كتاب الفتاوى، راجعه وحقق نصوصه عبد المجيد سليم، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٤٩ .

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) أنساب الإشراف، ط١، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦ .

١٢. التطيلي، بنيامين بن الرابي يونة (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)،، رحلة بنيامين التطيلي، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٢ .

١٣. التوحيدي، علي بن محمد (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م) الرسالة البغدادية، ط١، تحقيق عبود الشابحي، منشورات الجمل، المانيا ١٩٩٧ .

١٤. ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (ت٢٤٥هـ/٨٦٠م) المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د. ت).

١٥. ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) المسند، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، ط١، ج٢، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٥ .

١٦. الجاحظ، عمرو بن بحر (٢٥٥هـ/٨٦٩م) الحيوان، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.

١٧. قدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة البغدادي (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق ١٩٨١.

١٨. الجزري، شمس الدين أبو خير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، ط٢، ج٢، عني بنشره برجستراس، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥.

١٩. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)،، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، ج٨، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

٢٠. ابن حمدون، محمد بن الحسن (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) التذكرة الحمدونية، ج٣، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٧ .

٢١. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، معجم البلدان، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩.

٢٢. ===، معجم الأدباء، ط١، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣.

٢٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م) تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ .

٢٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

٢٥. ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق ١٩٧٧ .

٢٦. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٤ .

٢٧. الدمشقي، شمس الدين محمد بن علي بن محمد(ت٧٥٣هـ/١٣٥٣م) البدور المسفرة في نعت الأديرة، حققه وقدم له هلال ناجي، دار الحرية، بغداد ١٩٧٥ .

٢٨. الدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٤م) الأخبار الطوال، ط١، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٠ .

٢٩. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) المعارف، ط٢، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ .

٣٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ط٢ ، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٣ .

٣١. ===، سير أعلام النبلاء، ط١، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥ .

٣٢. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٨م) مختار الصحاح، ط٥، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت١٩٩٩ .

٣٣. ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، ط١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩١ .

٣٤. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٤هـ/٨٨٧م) سنن أبي داود، ط١، تحقيق عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ .

٣٥. ابن سلّام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ/٨٢٨م) الأموال، ط١، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨١ .

٣٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، بيروت ٢٠٠٤ .

٣٧. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، ط١، مؤسسة الحلبي، د.ت.

٣٨. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط، ، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠ .

٣٩. ===، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.

٤٠. ابن طباطبا، محمد بن علي (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، ط١، تحقيق عبد القادر محمد، دار القلم، بيروت، ١٩٩٧.

٤١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، راجعة نواف الجراح ط١، دار صادر بيروت ٢٠٠٣.

٤٢. ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية، ط١، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم، بيروت ١٩٩٧.

٤٣. ابن طرار، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (٣٩٠هـ/١٠٠٠م) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ط١، عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ .

٤٤. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) كتاب بغداد، تحقيق عزت الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٤٥. العاملي، زينب فواز (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٨٩٥م .

٤٦. ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢ .

٤٧. العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ريوري شالاب وارانسي، الهند، ١٩٨٢.

٤٨. العمري، أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠ .

٤٩. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣ .

٥٠. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، ط١ ، المطبعة الحسينية، القاهرة ١٩٩٠ .

٥١. الفسوي، يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ/٨٩٠م) المعرفة والتاريخ، ط٢، ج١، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.

٥٢. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ .

٥٣. ابـن قتيبـة، أبـو محمـد عبـد الله بـن مسـلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) أدب الكاتـب، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢ .

٥٤. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن (ت٢٧٦ هـ /٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٩٩٨ .

٥٥. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط١، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٥.

٥٦. القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط١ ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٧ .

٥٧. ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥١م) أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العارودي، دار ابن حزم ١٩٩٧ .

٥٨. الكتبي، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، ط١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣ .

٥٩. الكندي، يعقوب بن اسحق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) في الصناعة العظمى، (مقدمة).

٦٠. ماري، ماري بن سليمان النسطوري (ت٥٢٣هـ/١١٢٩م)، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، إكسوريات، روما ١٨٩٩ .

٦١. المـاوردي، أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن حبيـب البصـري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ .

٦٢. المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/١٧٠٠م)، بحار الانوار، ط١، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠ .

٦٣. المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨ .

٦٤. ===، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة (د.ت) .

٦٥. مسكويه، أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط٢، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ٢٠٠٠ .

٦٦. المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر(٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١ .

٦٧. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٩٩٠.

٦٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٩٩٤ .

٦٩. ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م) الفهرست، ط٢، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت ١٩٩٧.

٧٠. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) السيرة النبوية، قدم لها وعلّق عليها عبد الرؤوف طه، دار الجيل، بيروت (د . ت).

٧١. اليعقوبي، أحمد بن اسحق(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٩٧٠ .

٧٢. أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الأحكام السلطانية، ط٢، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٦ .

قائمة المراجع

١. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط١، القاهرة ١٩٦١ .

٢. أ وليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ .

٣. اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨ .

٤. بدري، محمد فهد، المجتمع العراقي ضمن كتاب حضارة العراق، ج٥، بغداد ١٩٨٥ .

٥. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥ .

٦. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨١ .

٧. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ط١، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، دار المعارف، مصر (د. ت).

٨. الثعالبي، عبد العزيز، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥ .

٩. الجبوري، عبد الله محمد، فقه الإمام الأوزاعي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧ .

١٠. جورجي زيدان، الأمين والمأمون ، ط١، مطابع دار الهلال ، القاهرة، د.ت.

١١. الحفني، محمود احمد، إسحاق الموصليّ الموسيقار و النديم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١٢. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط٢، دار الطليعة للطباعة النشر، بيروت ١٩٨٨.

١٣. الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، بغداد ، ١٩٤٥.

١٤. الزغاري، العهد العباسي، د. م، ١٩٨٦.

١٥. الزركلي، خير الدين، معجم الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢ .

١٦. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مكتب الحياة، بيروت د.ت

١٧. زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة ١٩٠٠

١٨. السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، م١، ط١، دار نضال للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٠.

١٩. سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٢.

٢٠. شطي، شوكت، في تاريخ الطب، دمشق (د.ن) ١٩٥٢ .

٢١. الطويل، توفيق، العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٨ .

٢٢. صبري، آمنة، لمحات من تاريخ الطب القديم، ط٢، مكتبة النصر، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢٣. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ط٨، ج٣، دار المعارف القاهرة، (د.ت) .

٢٤. طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٦ .

٢٥. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ .

٢٦. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، (د.ط) (د.ت).

٢٧. غريغوريوس، جرجس شاهين، نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القويم، مطبعة صبرا، بيروت ١٩١١ .

٢٨. غنيمة، رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط١، دار الوراق، لندن ١٩٩٠ .

٢٩. فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥ .

٣٠. فروخ، عمر، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، ط٣، بيروت ١٩٦٩ .

٣١. فهمي، سعد، العامة في بغداد، ط١، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٥ .

٣٢. فوزي، فاروق عمر، الدولة العباسية، ج١، دار الشروق، عمان ٢٠٠٣ .

٣٣. القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط١، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٧٧ .

٣٤. قلعجي، محمد رواس، موسوعة عمر بن الخطاب، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨.

٣٥. الكروي، إبراهيم سلمان، وعبد التواب شرف الدين، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧.

٣٦. ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٧٣ .

٣٧. مجموعة من الباحثين، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة بدوي، مكتبة النهضة، مصر ١٩٤٦ .

٣٨. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٥، م١، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٠.

٣٩. المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة ١٩٣٢ .

٤٠. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، دار الدعوة، اسطنبول ١٩٨٩.المنيع، ناصر محمد ، هارون بن موسى الأعور: منزلته وآثاره في علم القراءات، ط١، دار كنوز اشبيليا، ٢٠٠٩ .

٤١. النجفي، علي بن الحسين، تاريخ الأنبار، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١ .

Ahl Al-dhimma And there role in The Translation in Al-Ma'moons Covenant

between (813-833 – 198 - 218)

Abstract

This study comes to be a new reference about the role of non-Muslims in translation at the time of AL-Mamoun, I can claim that this is the first specialized study which studies non- Muslims and their role in translation even though there were many studies that dealt with translation and copying in general without focusing on specific subject.

This study covers the period of AL-Mamoun (198-218A.H/ 813-833A.D) who was known as a scientist besides being a caliph because he began to keep the books of philosophy from the beginning of his reign, he also welcomed and honored the well-known scientist of philosophy, Medicine, Mathematics and Astronomy, He awarded them generously after translating any book.

Because non-Muslims were good in many languages such as Syrian, Greek and Latin , they were great in translation and copying.

In this study I have done my best to focus on each scientist ad his achievements .